التعايش بين الأديان بين النظرية والتطبيق

د. الحسين عبد الفتاح جادو(*)

المقدمة

لقد عانى ولا يزال يعانى المجتمعُ الدولى من الصراعات التى تُرتكب من بعض أتباع الرسالات الإلهية باسم الدين مع أن جوهر الرسالات الإلهية يدعو إلى هداية الناس، واحترام كرامة الإنسان وحرية الفكر، وحرية الاعتقاد، والمساواة فى الحقوق العامة، والعدل فى جميع الأحوال، والمحبة والتسامح والإخاء والتعاون البنَّاء، والانتفاع المشترك بكافة المنافع الطبيعية التى منحها الله الناسَ أجمعين بقطع النظر عن عقائدهم ومذاهبهم وأجناسهم وانتماءاتهم العرقية، والتى تكفيهم جميعًا، بل تزيد عن حد الكفاية إن أحسنوا التعامل معها.

لماذا تبدأ دعواتُ الإصلاح بروح نقية تدعو إلى الهداية وتزكية النفس وتطهيرها للتصدى للفساد والانحراف، وحينما تختلط بالدنيا وزخرفها وتبدأ الغنائمُ يخالف بعضُ القائمين عليها ما يدعون إليه، بل ويستغلون تلك الدعوات الإصلاحيةَ لتبرير استئثارهم بالسلطة وإقصائهم الآخرين، والتنكر لحقوقهم المشروعة، ويصبح شعارُهم «من ليس معنا فهو ضدنا»، وبالتالى فهو كافر ومشرك ومستباح الدم والمال والعرض؟!

ولو كانت المنافسةُ بين الأديان قائمةً على الرغبة المحضة فى هداية الناس والإخلاص العميق فى تقريبهم إلى الله لما بقي بينها مجال للكيد الرخيص والعداوة الدامية.

لماذا تحولت اليهودية من كونها دينًا لبني إسرائيل إلى صِهْيَونيةٍ عالمية تكيد للآخرين وتسعى للهيمنة على العالم بأسره، وفى سبيل ذلك ترتكب أبشعَ الجرائم وتلصق أبشعَ التهم بالآخرين ومعتقداتهم؟

(*) المدرس بقسم الفلسفة الإسلامي، بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

ولماذا تحول بعضُ أتباع المسيحية ذاتِ المبادئ السمحةِ التى تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام إلى الفكر الصليبى الذى يزدرى أديانَ الآخرين ويشوهها عن عمد ويكيد لأتباعها ويشن عليهم الحملاتِ الإعلاميةَ المتواصلة، والحملاتِ العسكريةَ بالأصالة عن أنفسهم أو بوكالة الآخرين عنهم من حين إلى آخر؟ ولماذا يتعاون هؤلاء مع الصيهونية فى الكيد للآخرين خصوصًا أتباعَ الدين الإسلامى؟

ولماذا انحرف - أيضًا - بعضُ من ينتسبون إلى الدين الإسلامى عن مبادئه القويمة، وتعاليمه السمحةِ التى تدعو إلى الحق والهداية والقيم النبيلة واحترام كرامة الإنسان وسائر حقوقه بما فيها حرية الإرادة والفكر والاعتقاد إلى ممارسة العنف والإرهاب مع أن الإسلام برىءٌ من تلك الممارسات؟

ولماذا تتسعُ الفجوة باطراد بين النظرية والتطبيق، أو بين المبدأ والممارسة الفعلية؟

ولماذا تستمر تلك الممارساتُ البشعةُ مع أن الجميع يدركون من خلال استقراء التاريخ والواقع الحالى أنه ليس بوسع أتباع أى دين وليس من حقهم أيضًا إقصاءُ الآخرين والتنكر لحقهم فى الوجود وسائر حقوقهم الأخرى المشروعة؟

وإذا كان أغلبُ أتباع الرسالات الإلهية الكبرى الآن يدركون أن التعايش السلمىَّ بين أتباع هذه الرسالات أصبح ضروريًّا أكثر من أى وقت مضى لإحلال الأمن والسلام والاستقرار والرخاء والتنمية فى العالم بأسره فما القواعد التى ينبغى أن يقوم عليها ذلك التعايش؟ وما أبرز التحديات التى تواجهه؟ وما الخطواتُ العمليةُ التى تعين على مواجهة تلك التحدياتِ والتى يجب البدءُ فيها دون إبطاء؟

تلك هى أبرزُ التساؤلاتِ التى حاولت هذه الورقةُ البحثيةُ أن تقدم إجاباتٍ لها.

ولكي تؤدي هذه الورقة البحثية الغرض المرجو منها تم تقسيمها إلى مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة تلتها توصيات البحث.

المقدمة: ألقت الضوء على المشكلة التي يعالجها البحث المتعقلة بالتعايش السلمي المنشود بين أتباع الرسالات الإلهية الكبرى الثلاث، وقد تم تشخيصها من خلال طرح عدد من التساؤلات التى تتناولها من زوايا مختلفة، في محاولة للإجابة عنها على نحو يلقي الضوء على العلاج المقترح للمشكلة المطروحة.

الفصل الأول: تناول موقف أتباع كل رسالة إلهية من الرسالتين الأخريين وأتباعهما.

أما الفصل الثاني فقد جاء بعنوان: «الإسلام دين التسامح».

وأما الفصل الثالث فقد تناول أبرز التحديات التي تواجه التعايش بين الأديان وكيفية مواجهتها.

وأخيرًا جاءت الخاتمة متضمنة ما خلص إليه البحث من نتائج فى هذا الصدد، تلتها التوصيات.

الفصل الأول

موقف أتباع كل رسالة إلهية من الرسالتين الأخريين وأتباعهما

يحسن فى البداية أن نحدد الموقفَ العام لأتباع كل رسالة إلهية فى الوقت الحاضر من الآخرين حتى يتسنى لنا تحديدُ جوهر المشكلة، وبالتالى تحديدُ الخطواتِ العمليةِ المقترحةِ لعلاجها.

موقف اليهود من النصرانية والإسلام

يرى اليهود أن موسى نبىٌّ الله، وأن بنى إسرائيل شعبُه المختار، وأن عيسى ومحمدًا دعيَّان ليست لهما رسالة، وأن أتباعهما قطعان من المضللين لا يُقام لهم ولا لما يدينون به وزن، ولا يُمنحون أيةَ حرمة.

والنصارى - فى نظرهم - مخدوعون فى لقيط حملت به أمه سفاحًا، والمسلمون - فى نظرهم - مخدوعون فى أعرابى جاء من الصحراء لا يعقل شيئًا.(١)

ومع أن اليهود كانوا يعرفون الحقيقة إلا إنهم جحدوها وحاولوا كتمانها، ولما لم يفلحوا ناصبوها وأهلها العِداء. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٤٦]. وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٨٩]، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٠٩]، وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ﴾ [سورة المائدة، الآية ٨٢].

وعُرف اليهود منذ بداية ظهور الإسلام بممارساتهم غير المحمودة، وبطعنهم فى الدعوة الإسلامية وفيمن يؤمن منهم بها بهتانًا وزورًا، يدل على ذلك قول عبد الله بن سلام وهو أحد

(١) انظر محمد الغزالى، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١٣، ٢٠١٥م، ص ٨٦.

أحبارهم الذين أسلموا: «يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْت، و إنهم إن يعلموا بإسلامى قبل أن تسألهم يبهتونى»، فجاءت اليهود، فقال النبى ﷺ: **«أى رجل عبد الله فيكم؟»**، قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: **«أرأيتم إن أسلم عبدُ الله بنُ سلام؟»** فقالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبدُ الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه. قال: فهذا الذى كنت أخاف يا رسول الله.(١)

وكان بعضهم يتظاهرون بالإيمان أحيانًا ثم يرتدون عنه لإحداث الفتنة والبلبلة فى المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٧٢].

وكان بعضُهم يتظاهر بالإيمان ثم يُظهر العداوة محاولاً إلباسَها ثوبَ الحق ليفسد المجتمع المسلم من الداخل كما فعل عبدُ الله بنُ سبأ الذى كان له دور كبير فى اندلاع الفتنة الكبرى فى عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتى أسفرت عن استشهاده، وانقسام حاد داخل المجتمع المسلم على كافة الأصعدة، ولا تزال آثارُها ممتدةً إلى ما شاء الله.

ومن مكرهم السيءِ لإفساد الفكر الإسلامى: قيامُ فريق ممن أسلم منهم نفاقًا بدس الروايات المكذوبة والحكايات المختلقةِ والأفكار المضطربة - فيما عُرف عند المسلمين بالإسرائيليات - حتى تنطلىَ على من ليس لديهم القدرةُ على التحقق من المسلمين، وتشغلَ بالَ المحققين منهم وتدفعَهم إلى بذل جهد كبير لتنقية الفكر الإسلامى منها.(٢)

وقد دفعهم عداؤهم السافر للإسلام وأهله إلى مناصرة المشركين وتفضيل دينهم على دين الله الحق، ولما سألهم المشركون: أدينُنا خير أم دين محمد؟ أجابوا: أنتم، فنزل القرآن مكذبَهم ولاعنهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآيتان ٥١-٥٢].

كما انضم اليهود إلى المشركين يوم الأحزاب لإسقاط المدينة المنورة عاصمة الإسلام

(١) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب التفسير، باب قوله: «من كان عدوًا لجبريل»، الحديث رقم ٤٤٨٠.

(٢) محمد سعيد العشماوى، إسلاميات و إسرائيليات، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٨٠ وما بعدها.

حينـذاك، فقـال اللـه عَزَّوَجَلَّ واصفًـا ما دار مـن عراك بين المسـلمين واليهـود: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان ٢٦-٢٧].

وكان دأبُهم نقضَ العهود كما فعل يهودُ بنى النضير، و يهودُ بنى قريظة، وكانوا يُكثرون من سـبّ الرسول ﷺ، والإسـاءةِ إليه وأصحابه، وكانوا يَلحنون بالتحية ليجعلوها دعاءً بقولهم: «السام عليكم» بدلا من «السلام عليكم»، فكان النبى ﷺ يرد عليهم بقوله: «عليكم».(١)

وكانوا ولا يزالون يجتهدون لإشعال نيران الحروب و يسعون فى الأرض فسادًا، قال تعالى: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [سـورة المائـدة، الآية ٦٤].

واليهـود معروفـون قديمًـا وحديثًـا بمقت غيرهـم واحتقارهـم وميلهم عـن الأصل الحق القاضى بتمايز الناس على أسـاس التقوى والعمـل الصالح بعد الإيمان إلى التعصب العرقى وقهر المسـتضعفين وقتل النسـاء وغير المحاربين و إبادة المغلوبين بكل وحشية زاعمين أن تلمودَهم يقـضى بقتل الأميين الذين لا يَعـدون - فى نظرهم - كونهم حيواناتٍ نجسـةً فى صورة بشرية، فهـم كالحمـير والخنازيـر، والكلابُ أرفعُ منهـم، ويحل فعـلُ كلِّ إثم بهم ولا سـبيل عليهم فى ذلك.(٢) قـال تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٧٥].

إن الذى ينظر فى أسفار اليهود المزعومة يجد العديدَ من النصوص التى تحض على الكراهية والتعصب العرقى وازدراء الآخرين واسـتباحة حرماتهم، فقد جاء فى سـفر التكوين (٢٥/٩) «ليكـن كنعـانُ ملعونًا، وليكـن عبدَ العبيد لإخوته»، كما جاء فى سـفر التثنيـة (١٧:١٠/٢٠) «وحـين تتقدمـون لمحاربة مدينة فإن أجابتكم إلى الصلح فكلُّ الشـعب السـاكن فيها يصبح

(١) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب «لم يكن النبى ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا»، الحديث رقم ٥٦٧٨.
(٢) انظر د. محمد ممتاز عبد القادر، نقد الأناجيل المرفوضة والمعترف بها، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٣٥ وما بعدها.

عبيـدًا لكـم، وإن أبـت الصلحَ وحاربتكـم فاقتلوا جميع ذكورها بحد السـيف، وأما النسـاءُ والأطفال والبهائم فاغتنموها لأنفسـكم. أما مدن الشـعوب فلا تسـتبقوا فيها نسـمة حية بل دمروها عن بَكرة أبيها». وفي إشَـعْيا (٦١/٥: ٦) «ويقوم الغربـاء على رعاية قطعانكم، وأبناءُ الأجانـب يكونون لكم حُرّاثًا وكَرّامـين. أما أنتم فتُدعون كهنة الـرب، فتأكلون ثروة الأمم وتتعظّمون بغناهم».

وفي العصر الحديث سـاعدوا على إنشـاء حركات عميلة لهم داخل المجتمعات الإسلامية لزعزعة اسـتقرارها خدمة لأهدافهم، منها على سـبيل المثال: البهائيةُ التي يجتمع رؤساؤها كل سـنوات عدة في إشـارة إلى اكتمال الرؤوس للنجمة الإسرائيلية السداسـية. وقد قامت في عام ١٩٩٢م بوضع خطة عالمية توقعوا لها في حينها أن تكتمل رؤوسها عام ١٩٩٨م متوهمين أن عام ٢٠٠٠م عـامُ إعـلان إسرائيل الكبرى من خلال هذه الخطة التي سـتتعاون مع اليهود في تحقيق حُلم السـلام العالمي ليخرج المسـيحُ المنتظر، ولكن خيبهم الله ومـضى عام ٢٠٠٠م وإسرائيل تعاني الهوان على أيدي أغيلمةِ فلسـطين وشـبابها، وهو ما دفع أمريكا التلموديةَ لغزو العراق بعد أفغانسـتان تمكينًا لإسرائل من الوجود عند نهر الفرات حسـب نصوص التوراة المزعومة، ولكنهم سقطوا في مستنقع، وجاءت الرياح بما لا تشتهي السفن.[١]

والقاديانيـة الأحمديـة أيضًا لا تقل عمالة وخدمـة لليهود عن أختها البهائية، فقد نشـأت في ظـل الاحتلال الإنجليـزي مؤيدة لحكومة التاج البريطاني مشـبهة البهائية من حيث ادعاءُ النبوةِ وتحريفُ تعاليم الإسلام، والتفاني في خدمة اليهود ومُلكهم المنتظر، وكيف لا ومركزهم في حَيفا بفلسـطين المحتلة، ويتمتعون بامتيازات عظيمة في إسرائيل منذ احتلال فلسـطين عام ١٩٤٨م.[٢]

والصهيونيـة العالمية لا تقيم دعواها على عقيدة تنشرهـا وتدعو الأمم إلى الإيمان بها، لأنها إذا فعلت ذلك نقضت دعواها الرئيسـة وهي احتكار الإله لنفسـها، والإيمانُ بأنه إلهُ إسرائيل كـما يدعونه في الصلوات، وليس للأمم الأخرى حظ من رضـاه. فالصهيونيون الذين يزعمون أن الله لهم وحدهم، وأنهم شـعبُ الله المختارُ دون غيرهم لن يقبلوا مشـاركة أحد لهم في هذا الاحتـكار، ولـن يبشروا بدين يدعـون النـاس إلى اعتناقه خلافًا لأصحـاب الأديان الأخرى،

(١) انظر محمد عيسى داود، سر الكراهية أمريكا التلمودية، مدبولي الصغير، الجيزة، ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٤٥.
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٤٥.

وليس فى وسعهم سوى محاولةِ هدم عقائد الآخرين وأخلاقهم ودعائم أفكارهم وشرائعهم، ثم لا يُخلفونها بعقيدة أخرى تحُل محلها تقف لهم فى الطريق.(١)

ولا تستطيع الصهيونية أيضًا أن تسود بغير الخداع والتضليل؛ فهى تستند فى المقام الأول إلى سلطان المطامع والمنافع واستغلال الشهوات من وراء ستار. فلا بد لها إذن من أساليب الهدم والخداع. لهذا تبادر الصهيونيةُ إلى استغلال نفوذها فى إثارة الفتن والقلاقل، وتظفر الفتنةُ بتأييدها كلما توقعت منها الإمعانَ فى الهدم والفوضى؛ لأنها لا تنجح فى عالم فيه إيمانٌ بالخُلُق أو بالوطن أو بالدين.

ومن الأساليب التى يستخدمها الإعلامُ الصهيونى للتأثير على الرأى العام الأمريكى والأوربى:

١- ترويجُ الأخبار المكذوبة عن أحوال الأقليات اليهودية السيئة فى بعض الدول العربية، كأحوال الأقلية اليهودية فى سبعينيات القرن الماضى فى سوريا.

٢- محاولةُ الابتزاز من خلال ترسيخ ما يُسمى بـ «عُقدة الذنب» لدى الشعوب الأوربية، والإيحاءِ لها أنها المسئولةُ عن مذابح النازية ضد اليهود، حتى إن الإعلام الصهيونىَّ نجح فى ترسيخ هذه العُقدة لدى الشعب الأمريكى البعيد تمامًا عن مجازر أوروبا والنازية.

٣- استعطافُ الرأى العام العالمى من خلال التباكى على المآسى التى واجهت الشعب اليهودى عبر تاريخه الطويل فى أوربا، واتخاذ ذلك ذريعةً لترسيخ دعائم الكيان الصهيونى على حساب الفلسطينيين.

٤- تزويرُ الحقائق لمصلحةِ الأهداف الصهيونية، كالزعم أن فلسطين كانت «صحراءَ قاحلة» حولها الكيانُ الصهيونى إلى «جنة خضراء»، والتغطيةُ على المذابح الصهيونيةِ فى فلسطين، والادعاءُ أن الأطفال الفلسطينيين اللاجئين يتعلمون فى المخيمات «القتلَ والإجرام».

٥- استخدامُ أسلوب التكرار الإعلامى لترسيخ الأفكار التى يروجها الإعلامُ الصهيونى، وتقديمِها للرأى العام فى صور متنوعة عن طريق الكلمة المكتوبة فى الصحف وغيرها،

(١) انظر محمد عيسى داود، سر الكراهية أمريكا التلمودية، مدبولى الصغير، الجيزة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٧٦.

والبرامج المتلفزة، والأفلام السينمائية. ومعلوم أن أسلوب التكرار كان الوسيلة الرئيسة التى استند إليها «هتلر» فى تأسيس فلسفته الإعلامية، وكان الركيزة الأولى للإعلام النازى.

وعلى الرغم من قتامة المشهد على صعيد الفكر اليهودى الذى أسس فى العصر الحديث دولة دينية تقوم على الخداع والتضليل والتعصب والتمييز العرقى والسطو والاغتصاب والقتل والتدمير، استنادًا إلى إيمانهم بأنهم شعبُ الله المختار، وأن الآخرين لا حرمة لهم - إلا إن الأمل معقود على توفيق الله عَزَّوَجَلَّ لجهود المستنيرين المخلصين فى كافة بقاع العالم من اليهود وغيرهم لتصويب المسار، واتخاذ خطوات عملية جادة على طريق التعايش السلمى بين الأديان على نحو يصب فى مصلحة الناس أجمعين، الأمر الذى يهتم هذا البحثُ بإلقاء الضوء على جانب منه بإذن الله تعالى.

موقف النصارى من اليهودية والإسلام

يتمسك النصارى بالعهد القديم، ويتيهون بما فيه من بشارات بالسيد المسيح، ويعدون العهد الجديد متممًا للعهد القديم وليس ناقضًا له، فقد نُسب إلى السيد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى إنجيل متى (١٧/٥) القول: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأتمم. فالحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماءُ والأرضُ لا يزول حرفٌ واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شىء».

ويفخر النصارى بتسامحهم مع الأقليات اليهودية أحيانًا فى بعض البقاع التى كانوا متنفذين فيها، ففى مصر - على سبيل المثال - كانت الإسكندريةُ حافلةً باليهود الذين كانوا يشغلون حيين كبيرين منها، وكان لهم دورٌ كبير فيما اكتسبته تلك المدينةُ فى عهد البطالسة من الشهرة فى العلم والتجارة والشعر والفلسفة، وكانت حقوقُهم المدنيةُ فيها مثلَ حقوق اليونان، ولما صارت مصرُ تحت حكم الرومان ظلت حقوقُهم على ما كانت عليه.

كما أن كثيرين من يهود آسيا الصغرى تجنسوا بالجنسية الرومانية ليس رغبة فى الشرف؛ لأنهم يفضلون جنسيتهم الأصلية على كل جنسية أخرى، لكنهم فعلوا ذلك لحماية حقوقهم فى ظل الحكومة الرومانية التى كانت تأذن لليهود بالاجتماع فى كنائسهم، وهو امتياز لم ينل مثله الرومانُ أنفسُهم، فكانوا يجتمعون كل سبت فى الكنيس بمعزل عن العيون، وكان النصارى إذا أرادوا الفرار من الاضطهاد تظاهروا باليهودية.

وكان لليهود امتيازاتٌ طائفية لإنشاء مجالس خاصةٍ للقضاء فى أمورهم الشخصيةِ وغيرها من شئونهم الداخلية، والحكومةُ الرومانية تؤيد أحكامهم وتتكلف تنفيذَها بما يشبه امتيازاتِ طوائف النصارى فى الدولة العثمانية.(١)

لكنَّ هذا الموقفَ المتسامح من بعض النصارى مع اليهود لم يكن عامًّا ولا دائمًا، حيث قام كثيرٌ من نصارى أوروبا تلامذة اليهود بإذاقة أساتذتهم الذين درسوهم من قبلُ قتلَ الضعفاء والمساكين الذلَّ وصنوفَ العذاب و إحراقِهم وهم أحياء عبر مجازر تاريخيةٍ شهيرة، وسقوهم من نفس الكأس التى أذاقوها غيرَهم، فظهر أن كثيرين من النصارى استوعبوا الدرس من اليهود جيدًا، فجنى الشرَّ زارعُه.(٢)

أما موقف النصارى من الإسلام وأهله ففيه شيء من التفصيل، فهم فى الغالب ينكرون الإسلام على الرغم مما جاء من نبوءات وبشارات بشأن نبيه فى العهدين القديم والجديد، فعلى سبيل المثال جاء فى إنجيل يوحنا (١٩/١) «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهودُ إليه من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر قائلاً: لست أنا المسيح، فسألوه: ماذا إذن؟ أأنت إيليًّا؟ قال لست إياه. فقالوا: أأنت النبى؟ أجاب: كلا».

فهذه الشهادة من النبى يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تفيد أن شعوب اليهودية كانت منتظِرةً مجيء إيليًّا والمسيح ونبىّ آخر، وسواء كان النبى يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو إيليًّا أم غيره، فالمهم أنهم كانوا منتظرين مجيء المسيح ونبى آخر، وقد جاء المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلم يبق حينها إلا بعثة النبى الآخر الذى ينتظره الجميع، وهو غير عيسى ويحيى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.(٣)

ومن ذلك أيضًا ما نُسب إلى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى إنجيل يوحنا (١٦/٧، ١٣) «إنه خير لكم أن أنطلق، لأنى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، أما إذا مضيت فسأرسله لكم.. فمتى جاء ذاك الذى هو روح الحق فهو يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم من عنده، و إنما يتكلم بما يسمعه، وسيخبركم بأمور آتية».

كما جاء فى إنجيل برنابا الذى لا تعترف به المجامع المسكونية (١٩/ ١٤: ٢٠): «فلما

(١) انظر جورج زيدان، أديان الأمم، دار طيبة للطباعة، الجيزة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٩٠ وما بعدها.
(٢) انظر د. محمد ممتاز عبد القادر، نقد الأناجيل المرفوضة والمعترف بها ص ٣٦.
(٣) انظر محمد عزت الطهطاوى، الإسلام ومشكلات معاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٦٤.

انتصب آدمُ على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها: لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله. ففتح آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهى لأنك تفضلت فخلقتنى، ولكنى أضرع إليك أن تنبئنى ما معنى هذه الكلمات: محمد رسول الله؟ فأجاب الله: مرحبًا بك يا عبدى آدم، و إنى أقول لك إنك أول إنسان خلقت، وهذا الذى رأيتَه إنما هو ابنُك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولى الذى لأجله خلقتُ كل الأشياء، الذى متى جاء سيعطى نورًا للعالم، الذى كانت نفسُه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئًا».

وعلى الرغم من أن أغلب النصارى أنكروا الإسلام باعتباره دينًا إلهيًّا إلا إنهم فى الغالب كانوا أقل عِداء له من غيرهم، وقد آمن به بعضهم ممن تجردوا للحق، يدل على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة، الآيات ٨١-٨٥].

وما صنعه النجاشى من الاحتفاء بالمسلمين الأوائل الذين هاجروا فارين بدينهم من اضطهاد قومهم إلى الحبشة يؤكد هذا، وقد أرسل العديد من الهدايا إلى النبى ﷺ، وأحسن وفادة رسله، ومات على الإسلام.

وكذلك ما صنعه المقوقس حاكم مصر التابعُ للدولة البيزنطية من إحسان الرد على كتاب رسول الله ﷺ إليه، و إكرام مبعوثه حاطبِ بن أبى بلتعة، و إرسالِ الهدايا إليه وعلى رأسها السيدةُ مارية القبطية بنتُ شمعون سنة ٧ه التى صارت من أمهات المؤمنين، وأنجب منها الرسول ﷺ ولدَه إبراهيمَ ثالثَ أبنائه الذكور، وقد تُوفى وهو صغير.

وفى العصر الحديث هناك من عقلاء النصارى من يصرحون بأنهم «لا يعتبرون الإسلام دينًا معاديًا يجب عليهم أن يحاربوه، فلما كان قريبًا من اليهودية والمسيحية صار من المستحسن أن يوضع ضمن التراث التوحيدى انطلاقًا من إبراهيم والوعد الذى قطعه الله له بشأن ابنه إسماعيل، ولم يعد المسيحيون يتهمون محمدًا بأنه مدعى النبوة أو نبىٌّ كاذب، بل على العكس

منهم من يقر بأنه نبى.. والقرآن يعتبره المسيحيون مصدقًا للتوراة والإنجيل صار هو نفسه من سلالة هذا الوحى، صحيح أنه يهاجم التثليث والتجسيد غير أنه يكفى إظهار أن ما يهاجمه مغاير لمعنى هاتين العقيدتين».[١]

وفى المقابل هناك نصارى شديدو التعصب قاموا بشن تسع حملات صليبية على الشرق الإسلامى على مدى قرنين من الزمان ابتداء من ٥٤٩٠، وكلُّ قرية استسلمت لهم أعملوا السيف فى أهلها وما تركوا مسلمًا ولا يهوديًّا.[٢]

وعندما سيطر النصارى على الأندلس صدر قرار ملكى عام ١٥٠١م بحرق الكتب الدينية التى كانت فى حوزة الموريسيكيين المسلمين، [٣] وفى عام ١٥٢٣م حُولت المساجدُ إلى كنائس.[٤] وفى عام ١٥٢٥م صدر قرار التنصير الإجبارى، ومَنْعُ الختان والأسماء الإسلامية مما جعل المسلمين يسمون أطفالهم اسمين أحدهما سريًّا إسلاميًّا والآخر علنيًّا نصرانيًّا، ومُنع المسلمون من ذبح الحيوانات طبقًا للشريعة الإسلامية، وأجبروا على إحضار قصابين نصارى ليذبحوا لهم. وأقيمت محاكم التفتيش لاقتلاع الشعائر الإسلامية، وبدأ التجسس على المسلمين وإجبارُهم بالقوة على التنصر، وكان هدفُهم استئصالَ الإسلام من الأندلس.[٥]

وعلى الرغم من أن مؤسسات الهيمنة الاستعمارية الغربية طاردت الدين واللاهوت فى بلادها، وهمشت دور الكنيسة فى مجتمعاتها إلا إنها ظلت وفية للروح الصليبية فى مواجهتها مع الإسلام والمسلمين، واستمرت فى استخدام الدين والكنيسة والتنصير سلاحًا فى الزحف الإمبريالى على العالم الإسلامى. فسلطاتها الاستعمارية تعمل على علمنة المسلمين لكسر شوكة المقاومة الإسلامية للاستعمار الغربى بتحويل الإسلام إلى روحانية فردية معزولة عن السياسة والاجتماع، مع فتح الأبواب والميادين للكنائس الغربية لتنصير المسلمين، وذلك لإتمام عملية

(١) بولس الخورى، الإسلام والغرب (الإسلام والعلمانية)، جونيه، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٥٣.
(٢) انظر د. إيهاب حفظى، الإسلام والغرب صراع أم تعايش، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ١٣٢.
(٣) أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثت، تاريخ مسلمى الأندلس الموريسيكيين حياة مأساة أقلية، ترجمة: عبد العال صالح طه، دار الإشراق، قطر، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٢٥.
(٤) انظر المصدر السابق ص ١١٥.
(٥) انظر المصدر السابق ص ١٢٥ وما بعدها.

التغريب والتبعية والإلحاق كى يتأبد النهبُ الاقتصادى والمسخ الحضارى اللذان هما الهدف الأول للاستعمار.(١)

وفى البلاد الفقيرة يمارس المنصرون ضغوطهم على المعوزين والمرضى ليتنصروا أو يرسلوا أطفالهم الصغار للكنائس ليعلموهم ما يشاءون إن أرادوا المعونة، على الرغم من أنهم يعلمون أن تنصر هؤلاء شكلى وسرعان ما يعودون إلى دينهم إذا تحسنت أحوالهم، يقول صموئيل مارينوس زويمر (ت: ١٩٥٢م) أحدُ قادة التنصير: «إن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا أحد ثلاثة: إما صغيرًا لم يكن من أهله من يُعرفه ما هو الإسلام؟ أو رجلاً مستخفًّا بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وثالثًا يبغى الحصول على غاية من الغايات الشخصية».(٢)

والمنصرون يكرهون الإسلام ويحسون كأنما كان تقدمه على حساب النصرانية، فهم يودون له العنت وينتظرون له الخبال، ولا أدلّ على ذلك من أن بطريرك المارون «أنطون عريضة» والمطران «غناطيوس مبارك» كانا حربًا على الجامعة العربية لتوهمهما أنها مقدمةُ جامعة إسلامية، وكانا عونًا على عرب فلسطين مع اليهود؛ لأنه حبيبٌ إلى قلوبهم أن يكون اليهودُ مواطنين، وأن يكون المسلمون مشردين.(٣)

ولما شعر الدعاة إلى النصرانية أن إدخال المسلمين فى ديانتهم مستحيل؛ لأن الذين يستبعدون من طريقهم إيمانًا قائمًا على قواعد المنطق لن يلتفتوا إلى إيمان عزله أصحابه عن العقل والعدل - قرروا أن يفسدوا أبناءه بتسليط الشهوات عليهم وإشاعة الإلحاد الأعمى بينهم لتمهيد السبيل أمام الصليبيين الجدد كى يحققوا الأهداف التى عجز عنها أجدادهم فى العصور الوسطى بعد حروب دامت أجيالاً.(٤)

---

(١) انظر د. محمد عمارة، علمانية المدفع والإنجيل التحالف غير المقدس بين المدفع العلمانى وإنجيل المنصرين، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٦ وما بعدها.

(٢) محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الاستعمار، دار الإصلاح، الدمام، السعودية، ط٣، ١٣٩٩هـ، ص ٥٨.

(٣) انظر محمد الغزالى، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١٣، ٢٠١٥م، ص ٢٥٩.

(٤) انظر المصدر السابق ص ٢٦٠.

وبعد أن جرب هذا الفريق من النصارى كل هذه الممارسات التى لم تفلح فى تحقيق مآربهم، ولم تجن البشرية منها سوى الخرابِ والدمار أليس من المنطق أن يجنحوا للسلم والتعاون على البر الذى يعود نفعه على الجميع، ويعملوا على احترام حقوق الإنسان وصيانة العدالة الاجتماعية، وينشروا ثقافة المحبة والإخاء التى نادى بها السيد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

فقد نُسب إلى السيد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى إنجيل متى (٩/٥) القول: «سعداء هم صانعوا السلام»، كما نسب إليه فى إنجيل لوقا (٥٦/٩) القول: «إن ابن الإنسان لم يأت ليُهلك نفوسَ الناس، بل ليحييها»، كما نُسب إليه أيضًا فى إنجيل لوقا (٢٥/٢٠) القول: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، كما نُسب إليه كذلك فى إنجيل لوقا (٢٧/٦-٣٥) القول: «أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لاعنيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم، من لطمك على أحد خديك فاترك له الآخر أيضًا، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضًا، كل من سألك فأعطه، ومن أخذ مالك فلا تطالبه به، وكما تريدون أن يَفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضًا بهم، فإنكم إن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم؟! فإن الخطاة أيضًا يحبون من يحبونهم، وإن أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم؟! فإن الخطاة أيضًا يفعلون ذلك، وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم؟! فإن الخطاة أيضًا يقرضون الخطاة ليستردوا منهم المثل، ولكن أحبوا أعداءكم، وأحسنوا إليهم، وأعطوا ولا تخيبوا رجاءَ أحد غير طامعين فى استرداد شىء».

موقف الإسلام والمسلمين من اليهودية والنصرانية

يؤمن المسلمون بأن فى دينهم قاسمًا مشتركًا بين الديانات الإلهية كلها، فهم يؤمنون بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويوقرونه، ويعتبرون التهجم على مكانته كفرًا بالإسلام، وهم كذلك يؤمنون بعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويكرمون مولده وينزهون نسبته، ويرون الطعن فى عفاف أمه أو شرف ابنها كفرًا بالإسلام. قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٥]، وقال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ ﴾ [سورة الشورى، الآية ١٣].

ويضم المسلمون إلى إيمانهم بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والتوراة، وعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والإنجيل إيمانًا

جديـدًا بمحمـد ﷺ والقرآن، على أسـاس أن النبوة الأخيرة جـاءت تصديقًا لمـا قبلها، ومحوًا للفـوارق التى مزقت شـمل العالم أجمـع، قال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة النحل، الآية ٦٤].

وكان النبىُّ ﷺ شـديدَ الاعتزاز بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ويصوم يوم عاشـوراء احتفاءً بنجاته وشكرًا لله عَزَّوَجَلَّ، فقد أورد البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس «قدم النبى ﷺ المدينة فـرأى اليهود تصوم يومَ عاشـوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هـذا يوم صالح، هذا يومٌ نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه، وأمر بصيامه».(١)

وكان النبىُّ ﷺ شـديدَ الاعتزاز أيضًا بالسـيد المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، يدل على ذلك قولُه: «أنا أولى النـاس بعيسى ابن مريم فى الدنيـا والآخرة، والأنبياءُ إخوةٌ لعَلّات، أمهاتهم شـتى ودينُهم واحد».(٢)

فالإسلام يهودية موسى ونصرانية عيسى معًا وهدايات مَنْ قبلهما من رسل الله أجمعين، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [سـورة البقرة، الآية ١٣٦].

ولـو أدرك مـوسى وعيسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ محمدًا ﷺ لآمنا به ونـصراه، لأن الله أخذ الميثاق عـلى كل نبـى إذا جاءه رسـول مصدق لما معـه أن يؤمن به وينصره، قـال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٨١].

ولهـذا فإن عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ينزل فى آخر الزمان ناصرًا الإسـلام الذى هو دين محمد ﷺ والأنبيـاءِ جميعًا صلوات الله عليهم، ومكذبًا اليهودَ الذين زعموا قتله، وقاتلا زعيمهم المسـيخ الدجـال، ومبينًا حقيقته التى اختلف النصارى بشـأنها، وواضعًا الجزيـة عنهم فلا يقبل منهم

(١) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، الحديث رقم ٢٠٠٤.
(٢) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب آحاديث الأنبياء، باب قول الله: «واذكر فى الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها»، الحديث رقم ٣٤٤٣.

إلا الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ١٥٧، ١٥٨].

وقد أورد البخارى فى صحيحه أن أبا هريرة قال: قال رسول ﷺ: «والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابنُ مريم حكمًا عدلاً، فيكسرَ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضعَ الحرب، ويفيضَ المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».(١)

كما فرح المسلمون بنصر الروم الذين هم فى الجملة من أهل الكتاب على الفرس المجوس، قال تعالى: ﴿ الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الروم، الآيات: ١-٥].

كما مدح القرآن الكريم المعتدلين من أهل الكتاب الذين أذعنوا للحق وسارعوا فى الخيرات، قال تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۖ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ ﴾ [سورة آل عمران، الآيات: ١١٣- ١١٥].

فالقرآن إذًا لم يأت بدين جديد، وإنما هو مصدق لما قبله من الرسالات الإلهية، ولهذا فإن القرآن بعد أن يقص سير الأنبياء وأتباعهم ينظمهم فى عقد واحد، ويجعلهم جميعًا أمة واحدة لها إله واحد، ودينٌ واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩٢].

وإذا كان الإسلام بمعناه العام هو دين الأنبياء جميعًا فلا يُسأل عن علاقة دين محمد ﷺ به لأنه لا يُسأل عن علاقة الشىء بذاته، وإنما يُسأل عن علاقة شريعة محمد ﷺ بالشريعتين اللتين بُعث بهما موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهنا ينبغى التمييز بين هاتين الشريعتين قبل أن

(١) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، الحديث رقم ٣٤٤٨.

تمتد إليهما يد التحريف وبعد أن لحقهما التحريف، ففى الحال الأولى تعد علاقةُ الإسلام بمعناه الخاص الذى بُعث به محمد ﷺ بهاتين الشريعتين علاقةَ تصديق كلى، وعلاقتُه بهما فى الحال الثانية علاقةَ تصديق لما تبقى من أجزائهما الأصلية، وتصحيحٍ لما طرأ عليهما من البدع والإضافات الغريبة عنهما.(١)

ولهذا فإن القرآن فسح الطريق أمام أهل الاعتدال من ورثة الدين الإلهى كله للتعايش والتعاون فى ظل عبادة الله الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٦٤].

فالشواهد القرآنية - إذن - تؤصل روح التسامح والتآلف، وترسى دعائم التعاون والتعاطف، وترسخ زمالة الشرائع الإلهية. أما ما ورد من شواهد قد يتبادر إلى الذهن أنها على خلاف ما ذُكر، فهى لظروف خاصة، وأوضاع طارئة، وأسباب مؤقتة تُنزل على موردها، أى أنها تتضمن حكمًا خاصًا بطائفة أو فرد لأسباب اقتضت ذلك ولا تمثل حكمًا عامًّا ولا تنقض الأصل السابق.(٢)

التمكين فى الأرض للأصلح من سنن الله الكونية

والمسلمون يؤمنون بأن الأقدر على التعايش مع غيره مع استيفاء مقومات الصلاحية للقيادة هو الأجدر بأن يمكن الله له فى الأرض؛ فالنظام يجب أن يغلب الفوضى، والعدل يجب أن ينتصر على الظلم، والعلم يجب أن يمحق الجهل، والأخلاق الفاضلة ترجح حتمًا على الضعة والتحلل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية ١٠٥]، وقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [سورة النور، الآية ٥٥].

والواقع يؤكد أن أسلافنا الفاتحين لم يرثوا الأرض إلا وهم لقيادتها أهل، وكانت مصلحة

(١) انظر محمد عزت الطهطاوى، الإسلام ومشكلات معاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٦٧.
(٢) انظر د. أحمد محمود كريمة، أهل الكتاب فى التشريع الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٤٥.

العالم فى انتقال السيادة إليهم من الفرس والروم فاقدى الأهلية لها، ولن يعود هذا الزمام الضائع من المسلمين إليهم مرة أخرى إلا إذا كانوا أرجح فى موازين الصلاحية العامة من غيرهم. وخيرٌ للمسلمين أن يفقهوا سنن الله فى كونه، فإن هذه السننَ لا تلين لأحد.

إن أحق الناس بامتلاك التربة التى نحيا عليها مَن يُحسن استغلالها واستخراجَ الدفين من كنوزها، والخبيءَ من خيراتها، وأحقّ الناس بالتمكين فى الأرض من يستطيع إذا ساد فيها أن يقيم العدل بين أهلها.

وكلما اضطربت طاقة أمة وتطرق الفشل إلى سياستها فى ميادين التعمير والإصلاح والعدالة والإنصاف بدأت تتدحرج إلى حافة الهاوية ويسرع بها عسفها إلى حتفها.(١)

الاختلاف من سنن اللّه فى خلقه

ومن مقومات التعايش الذى يحرص عليه المسلمون إيمانُهم بأن الاختلاف من سنن الله فى خلقه، وهو ما يستلزم احترام الآخر على الرغم من الاختلاف، فالله عَزَّوَجَلَّ لما خلق الكون اقتضت حكمته أن يقوم على أساس التنوع الذى لا يستقيم حاله إلا به، وكان للبشر النصيبُ الوافر من هذا الاختلاف، فهناك الاختلاف فى الجنس واللون واللسان والحجم والشكل والفكر والمعتقد، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [سورة الروم، الآية ٢٢]، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [سورة فاطر، الآيتان: ٢٨]، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [سورة هود، الآيتان: ١١٧، ١١٨]، وقال: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٤٨].

لكن هذا الاختلاف الذى اقتضته الحكمة الإلهية لا ينبغى أن يكون سببًا للتنازع بين الناس، لأنهم جميعًا مخلوقون لعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، وعمارةِ الأرض والتعاون على البر والتقوى، وتزكية النفس والترقى فى مدارج الكمال بقدر الطاقة البشرية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ

(١) انظر محمد الغزالى، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١٣، ٢٠١٥م، ص ١٥٤ وما بعدها.

﴿ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات، الآية ٥٦]، وقال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية ٦١]، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠].

الفصل الثاني

الإسلام دين السلام والتسامح

وعلى الرغم من أن الله عَزَّوَجَلَّ بعث محمدًا ﷺ هاديًا للعالمين مع اختلاف أفكارهم وعقائدهم يدعوهم إلى دين الله الواحد الأحد، حتى يسيروا على منهجه، ويؤمنوا برسالته الموحِّدة لهم جميعًا - إلا إن الله أعلمَ نبيه أن الناس سيظلون مختلفين لأن حكمته اقتضت ذلك، وأمَره ألا يُكره أحدًا على الإيمان، لأن الإكراه يتنافى مع حقيقة الإيمان القائم على الاختيار لا الاضطرار، ويؤدى إلى التنازع الذين يهدد الأمن والسلم، وينتج منافقين لا مؤمنين يشكلون خطرًا داهمًا على المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٩٩]، وقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [سورة الشورى، الآية ٤٨]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق، الآية ٤٥]، وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦٦]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [سورة يونس، الآيتان: ١٠٨، ١٠٩].

فالمسلم الذى يؤمن بأن إيمانه لا يكمل إلا بالتعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، يتحلى بالرفق فى الأمور كلها متأسيًا بنبيه ﷺ الذى قالت عنه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما خُير رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنتهك حرمةُ الله فينتقم لله بها».(١)

إن الأمن والسلام ضرورتان إنسانيتان فى الحياة أوجب الإسلامُ على أتباعه القيامَ على سيادتهما فى مجتمعه والمحافظة عليهما، ولذلك فإن كل إنسان يعيش فى المجتمع الإسلامى ينعم بهاتين النعمتين. والسلامُ هو المقصد والغاية الكبرى للشريعة الإسلامية، وهو اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، وتحيتُه إلى عباده فى الجنة. وتحية الملائكة للمؤمنين فى الجنة السلام، كما

(١) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب المناقب، باب صفة النبى ﷺ، الحديث رقم ٣٥٦٠.

سمى القرآن الجنة «دار السلام»، وأهلُ الجنة لا يسمعون من القول ولا يتحدثون بلغة غير لغة السلام، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ الهداية إلى سبل السلام جزاء لمن اتبع هديه وأطاعه، وأمر المؤمنين أن يجعلوا السلام تحيتهم. وجوابُ المؤمنين ردًّا على الجاهلين السلام.

والسلام يلقيه المسلم كل يوم خمس مرات على الأقل فى خاتمة الصلوات المفروضة. وقد بين الله عَزَّوَجَلَّ قيمة السلام فى كتابه حينما أوجب على المؤمنين تأمينَ من يلقى السلام حيث قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [سورة النساء، الآية ٩٤].

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية فى أحكامها بطوق من الحماية والأمن يشمل المسلم وغيره، وأوجب إشاعة أجواء السلام الاجتماعى الذى ييسر على الإنسان التعايشَ والتعاون بين أفراده، فغيرُ المسلم والمسلم متساويان فى الحقوق الإنسانية العامة كحماية النفس والدين والعرض والمال وإتاحة الفرصة للعمل والكسب.(١)

سماحة الإسلام

ولما كان التعايشُ القويم لا يتحقق إلا بالسلام العادل والشامل، والسلامُ لا يتحقق إلا بالسماحة فإن المسلم يحرص على التحلى بها فى سائر المعاملات مع المسلمين وغير المسلمين المسالمين عملاً بقول النبى ﷺ: **«رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»**.(٢)

وليست هذه السماحة والرحمة فى حال دون حال، بل إنها كما تكون فى وقت اليسر والسلم تكون وقت الشدائد، بل حتى فى وقت الحروب حين يضطر المسلمون للتصدى للعدوان، وممارسة حقهم المشروع فى الدفاع عن أنفسهم يمتثلون لتعاليم دينهم التى تأمرهم ألا يقتلوا شيخًا كبيرًا، ولا راهبًا فى صومعته، ولا امرأةً غيرَ محاربة، ولا طفلاً، وألا يحرقوا زرعًا، وألا يهدموا بيتًا أو بناء.(٣)

---

(١) انظر د. على جمعة، المساواة الإنسانية فى الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ١٣٨ وما بعدها.

(٢) صحيح البخارى، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع، ومن طلب حقًّا فليطلبه فى عفاف، الحديث رقم ٢٠٧٦.

(٣) انظر د. أحمد عمر هاشم، التصوف فى مواجهة التكفير والتطرف، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٠.

هـذه هى تعاليم الإسـلام حتى فى وقت نزال العـدو، فما بالنا به فى وقت السـلم، إنه يعد العـدوان على نفس واحدة عدوانًا على البشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة، الآية ٣٢]؛ لأن الاستهتار بحرمة النفس الإنسانية فى موطن يغرى بالاستهتار بها فى مواطن أخرى؛ ولأن العدوان عليها فى شـخص يغرى بالعدوان عليها فى أشـخاص، بل فى دولة برمتها.(١)

الإسلام واحترام حقوق الإنسان

وينطلق المسـلمون فى تعايشـهم مع الآخرين أيًّا كانت دياناتهم أو مللهم على أساس متين هو احترام حقوق الإنسان، فكل من درس الشريعة الإسلامية يعلم أن مقاصدها - منذ كانت - تتمثـل فى قيـام مصالح الناس فى الديـن والدنيا معًا، وقد روعى فى كل حكـم من أحكامها إما حفظُ شىء من الضروريات الخمس، وهى: (الدين، والنفس، والعقل، والنسـل، والمال) والتى تُعد أسسَ العمران المرعيةَ فى كل ملة، وإما حفظ شىء من الحاجيات كأنواع المعاملات، وإما حفظ شىء من التحسينيات التى ترجع إلى مكارم الأخلاق، وإما تكميل نوع من هذه الأنواع بما يعين على تحققه.(٢)

وحفظ هذه الأنواع المشار إليها يعنى حمايتها من أى اعتداء عليها، وهذه الحماية حق لكل فرد، فهى - إذن - تمثل حقوقًا للإنسـان بكل ما تحمل الكلمة من معنى. وترجع حقوق الإنسـان فى الإسلام - بصفة عامة - إلى حقين أساسيين، هما: حق الإنسان فى المساواة، وحقه فى الحرية. وكلُّ حقوق الإنسان الأخرى تنبثق من هذين الحقين.

ويؤسس القرآن الكريم حق الإنسان فى المساواة على قاعدتين رئيستين، هما: وحدة الأصل البشرى، وشمول الكرامة الإنسانية لكل بنى آدم.

أمـا وحـدة الأصل البشرى فقـد أكدها القرآن حين أشـار إلى أن النـاس جميعًا خلقوا من نفس واحدة، فلا مجال فى الإسلام لامتيازات طبيعية لفئات أو طبقات أو أجناس أو شعوب فى

(١) المرجع السابق، ص ١١.

(٢) انظر الشاطبى، الموافقات فى أصول الأحكام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ، ج٢، ص ٣ وما بعدها.

مقابل شعوب أخرى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [سورة النساء، الآية ١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٣].

وأما القاعدة الثانية للمساواة فهى شمول الكرامة الإنسانية لكل البشر بلا استثناء لتكون سياجًا من الحصانة والحماية لكل فرد من أفراد الإنسان، لا فرق بين غنى وفقير، أو حاكم ومحكوم، فالجميع أمام الله وأمام القانون وفى الحقوق العامة سواء. ومن المعلوم أن حق المساواة فى المجتمع الإسلامى مكفول للمسلمين ولغير المسلمين على السواء.[١] فقد اتفقت المذاهب الإسلامية على أن غير المسلمين لهم حق الملكية الخاصة، وأن أموالهم معصومة، وهم فى حماية المجتمع المسلم بجميع مؤسساته،[٢] فمن سرق مال ذمى قطعت يده، ومن غصبه عُزّر وأعيد المال إلى صاحبه، ومن استدان من ذمى فعليه أن يقضى دينه، فإن مطله وهو غنى حبسه الحاكم حتى يؤدى ما عليه شأنه فى ذلك شأن المسلم ولا فرق.

وقد بلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموال غير المسلمين وممتلكاتهم أنه يحترم ما يعدونه - بحسب اعتقادهم - مالاً و إن لم يكن مالاً فى نظر المسلمين، فالخمر والخنزير لا يُعتبران عند المسلمين مالاً مُتقومًا، ولا يجوز للمسلم أن يمتلك أيهما، لا لنفسه ولا ليبيعها للغير. أما الخمر والخنزير إذا ملكهما غير المسلم فهما مالان كغيرهما، بل هما من أنفس الأموال عنده، فمن أتلفهما غُرّم قيمتهما، وهذا الحكم بخلاف ما لو كانا مِلْكًا لأحد من المسلمين؛ فلا يضمن المتلف لهما شيئًا. وبذلك يسن الإسلام أعدل القوانين فى التعامل مع الآخر.

ولم يهتم تشريع بحماية الأعراض كما اهتم شرعنا الحنيف، فالإسلام يعتبر أى أذى معنوى أو اتهام بالباطل يتعرض له غير المسلم يصيب كرامته وشرفه فى المجتمع معصيةً لله ورسوله شأنه فى ذلك شأن المسلم.[٣]

(١) انظر د. محمود حمدى زقزوق، الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى، دار الرشد، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) انظر اجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمه إلى العربية وعلق عليه: د.محمد يوسف موسى، ود. على حسن عبد القادر، وأ. عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط ٢، ١٩٥٩م، ص ٤٦ وما بعدها.

(٣) انظر د. على جمعة، المساواة الإنسانية فى الإسلام بين النظرية والتطبيق، ص ١٤٢ وما بعدها.

الإسلام والعدل

لكن التعايش الذى أقامه الإسلام على احترام ورعاية حقوق الإنسان العامة والمساواة فيها بين الناس أجمعين لا يعنى إهدار العدالة، لأنه من المقرر عند العقلاء ذوى الفطر السليمة أن بعض المساواة عدل لا شك فيه، وبعضَها ظلم لا شك فيه؛ لأن مساواةَ من يستحق بمن لا يستحق هى الظلم بعينه، والمساواة بين جميع الأشياء هى العدم المطلق؛ إذ لا بد من اختلاف ليقال هذا شيء وذاك شيء، وإن لم يكن اختلاف لم يكن شيء، وإنما هو العدم المطلق الذى لا محل فيه لموجود.(١)

ودعوة الإسلام إلى العدل بمفهومه الصحيح هى فى الحقيقة دعوة إلى حرية الإنسان وكرامته وتأكيد حقوقه العامة. فالعدل مرتبط ارتباطًا وثيقًا بحقوق الإنسان،(٢) لأنه إذا كان الناس فى أصل فطرتهم وخلقتهم متساوين فإنه من العدل أن تكون للجميع حقوقٌ متساوية أيضًا على مستوى الأفراد والجماعات. ومن هنا فإن العدل لن يتحقق إلا بكفالة كل الحقوق الإنسانية للجميع، فمن العدل أن يتمتع كل فرد بحقه فى حياة كريمة.(٣)

كما أن إقرار العدلِ له علاقة وثيقة بإقرار السلام، فإذا وقع خلل فى هذا الصدد فإن السلام يكون مهددًا، الأمر الذى يتطلب اتخاذ كل التدابير المشروعة الكفيلة بإزالة هذا الخلل.(٤)

والعدل - فى الرؤية الإسلامية - فريضة واجبة، وضرورة من الضرورات الاجتماعية والإنسانية وليس مجرد «حق» من الحقوق التى يجوز لصاحبها التنازلُ عنها إن هو أراد، أو أن يفرط فيها دون وزر وتأثيم.(٥)

ومن ثم فإن الإسلام أشاد بالعدل ودعا إليه وأوجبه بين العدو وعدوه، والقريب والقريب، وكذلك فى المعاملات، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ

(١) انظر عباس محمود العقاد، الديمقراطية فى الإسلام، دار اليقين، مصر، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٠٩.
(٢) انظر يوسف الحمادى، الإسلام وروح التسامح والرفق، دار مصر للطباعة، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٨٠.
(٣) انظر د. محمود حمدى زقزوق، الدين للحياة، دار الرشد، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ٩٤ وما بعدها.
(٤) انظر د. إبراهيم البيومى غانم، المبادئ العامة للنظرية الإسلامية فى العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٨.
(٥) انظر د. محمد عمارة، مقومات الأمن الاجتماعى فى الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٥٨.

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٨]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية ١٣٥]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ [سورة النساء، الآية ٥٨].

كما أوجب الإسلامُ العدلَ فى دعوى الأنبياء والهداة، قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى، الآية ١٥].

ولا يسوى بين جائر وعادل، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة النحل، الآية ٧٦].

فالمساواة التى تجب فى الشريعة الصالحة هى المساواة التى لا غبن فيها على أحد، أما المساواة التى فيها الغبن وخيمُ العقبى والتى تُبطل مزايا العمل وفضائلَ الرجحان، وتُقعد ذوى المساعى عن مساعيهم فلا يُقرها سائر العقلاء المنصفين ذوى الفطر السوية.(١)

فليس فى عقيدة المسلم نظامٌ بَيْن السماوات والأرضين لا يستقر على هذا الأساس: إله رحمن رحيم يُجرى الكون على سنن، ويحاسب الخلق ببلاغ ونذير، ولا يظلم أحدًا، وما هو بظلام للعبيد. ونبى ليس بالمسيطر ولا بالمتجبر، ولكنه بشير ونذير، والأمر بينه وبين أمته على المشاورة ومكارم الأخلاق. وإمام يطيع قبل أن يُطاع، ويتولى الحكم من أيدى المحكومين.(٢)

كما أن العدل اللازم للتعايش يوجب فى المنظور الإسلامى - المساواة والمشاركة بين عموم الجماعة الإنسانية من منطلق المساواة فى الإنسانية فى التمكين من الانتفاع بمنافع الكون، وفى

(١) انظر محمد الغزالى، الإسلام المفترى عليه، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٤٢.
(٢) انظر عبد الرحمن الكواكبى، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠١٣م، والعقاد، الديمقراطية فى الإسلام ص ٢١١.

توفير القدر اللازم لاستمرار حياة الإنسان.[١] قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٠]، وقال: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [سورة فصلت، الآية ١٠].

ويستلزم العدلُ - فى المنظور الإسلامى - أيضًا المساواةَ بين عموم البشر فى حق التعبير عن الرأى الذى هو جزء من الحريات العامة فى الدولة الإسلامية، وهو حق من حقوق الإنسان الطبيعية التى يتساوى الجميع فى نوالها. وبناء على ذلك وجب تنظيمُ هذه الحريةِ حتى يأخذ كل فرد فى المجتمع منها نصيبه ولا يعتدىَ على نصيب غيره، أو يعتدىَ فى تعبيره على خصوصية الآخرين وحريتهم فى الاختيار والتوجه.[٢]

كما احترم الإسلام حق غير المسلمين فى تقرير مصيرهم، فلم يرهقهم المسلمون، ولم يظلموهم، ولم يفسدوا عليهم أمورهم، بل كانوا يخيرونهم بين أن يعاهدوهم أو يَدخلوا فى دينهم من غير إكراه ولا ضغط ولا فتنة فى الدين، ولم يقاتلوهم إلا إذا ناوءوهم وأعلنوا لهم العداوة، وما حاربوا معتدين، بل كانوا يحاربون مدافعين،[٣] قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩٠].

بل إن الإسلام أوجب على أتباعه التزاماتٍ وواجباتٍ ماليةً وكان لغير المسلم نصيب فيها، وذلك كزكاة المال أو صدقة الفطر،[٤] قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٦٠].

كما يصح الوقف على أهل الذمة، لأن الواقف مالك، وله أن يجعل ماله حيث شاء ما لم يكن معصية عندنا وعندهم.[٥]

ويجوز أيضًا الدعاء للمشركين بالهداية إلى الحق، فقد أورد البخارى فى صحيحه من

(١) انظر د. على جمعة، المساواة الإنسانية فى الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٦٩.
(٢) انظر المرجع السابق ص ٧٣.
(٣) انظر محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٥٠.
(٤) انظر ابن القيم، أحكام أهل الذمة، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٢٩٤.
(٥) انظر محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع ص ١٣٤.

حديث أبي هريرة قال: «قدم طفيلُ بنُ عمرو الدوسيُّ وأصحابُه على النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكتْ دوس. قال: اللهم اهد دوسًا وائت بهم».(١)

كما يجوز عيادة المرضى غيرِ المسلمين، يدل على ذلك أن أبا طالب لما حضرته المنية دخل عليه النبى ﷺ وعنده أبو جهل فقال: **«أى عم، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أحاج لك بها عند الله»**.(٢)

وهناك كثير من الأحكام الشرعية الإسلامية التى يتساوى فيها المسلم مع الذمى، فهما يتساويان فى القصاص، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية ٤٥]. وهما سواء فى الديات والضمان والتعازير، يجرى على الذمى ما يجرى على المسلم فى بعض المذاهب الفقهية.

وفى الأحوال الشخصية أبيح للذمى كلُّ زواج يقره دينُه وإن خالف الدين الإسلامى، وأبيح له كل طلاق وإن لم يتفق مع الإسلام، وليس للإسلام أن يتعرض للذميين فى شىء من هذا إلا إذا احتكموا إليه. وسوَّى الإسلامُ فى الحرمان من الميراث بين الذمى والمسلم، فلا يرث المسلم قريبه الذمى، ولا يرث الزوج المسلم زوجته الكتابية وهى كذلك لا ترثه، قال ﷺ: **«لا يرث المسلم الكافر، ولا يرث الكافر المسلم»**.(٣)

وأباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعام أهل الكتاب وذبائحهم بشرط أن يكون المذبوح مما يحل للمسلمين أكله، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ ﴾ [سورة المائدة، من الآية ٥].

كما أحَل الإسلام للمسلم أن يتزوج كتابية وتبقى على دينها، ولها من الحقوق على زوجها مثلُ ما للمسلمة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ ﴾ [سورة المائدة، من الآية ٥].

---

(١) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، الحديث رقم ٢٩٣٧.

(٢) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب التفسير، باب «إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء»، الحديث رقم ٤٧٧٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفرائض، الحديث رقم ١٦١٤.

وقد بُنى هذا على سماحة الإسلام مع أهل الكتاب؛ لأن الزوج المسلم مؤمنٌ بالمسيحية، ومصدق بموسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فهو لا يجبر زوجته الكتابية على الإسلام؛ ولأن فى المصاهرة قضاء على الأحقاد، ولهذا كثيرًا ما تزوج المسلمون بكتابيات.

كما كفل الإسلامُ لأهل الكتاب حريةَ ممارسة شعائرهم الدينية فى كنائسهم، ولهم إخراجُ صلبانهم يوم عيدهم.(١)

وأباح الإسلام للمسلمين أن يعاملوا الذميين جميع المعاملات المباحة، فلهم أن يضيفوهم ويستضيفوهم وأن يبادلوهم الهدايا، وأن يستأجروا منهم، وأن يشاركوهم التجارة.(٢)

فالقسط إذن مطلوب من المؤمن بالله على كل وجه وفى كل حال مع الإنسان والحيوان والنبات، مع النفس والغير، مع المؤمن والكافر، مع المسالم والمحارب، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية ٨]. وفى هذه الآية منهج يحقق السلام الاجتماعى بين الناس، وهى تتحدث عن مستوى أعلى من مستوى إعطاء الحقوق وأخذها، وهو مستوى تقديم البر والإحسان والفضل.(٣)

فالشريعة الإسلامية أمرت بالفضيلة مع الأعداء والأولياء، ولو كان الأعداء لا يلتزمون هذه الفضيلة، فإن الفضيلة كمالٌ للفاضل، وليست معاملةً بالمثل، فلا يقلد الفاضل الشرير، وإلا زالت الفضائل من هذه الأرض.(٤)

والمسلم مأمور بألا يجادل أهل الكتاب المسالمين إلا بالتى هى أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٤٦]. ومأمور أيضًا بأن يحسن جوارهم، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [سورة النساء، الآية٣٦].

---

(١) انظر طارق عبد الله، الوحدة الوطنية فى الإسلام، دار الفاروق، مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٧١.

(٢) انظر ابن القيم، أحكام أهل الذمة، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٢٠٠، و٥٣٣ وما بعدها.

(٣) انظر د. عبد العظيم المطعنى، مبادئ التعايش السلمى فى الإسلام منهجًا وسيرة، دار الفاروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٦٥.

(٤) انظر محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٥.

وأوصى الإسلام بصلة الرحم ولو لغير مسلم، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥]، وقال ﷺ: **«إنكم ستفتحون أرضًا يُذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا»**.(١) فالنبى ﷺ أوصى المسلمين بأهل مصر وهم حينئذ فى مجملهم نصارى، وعلل ذلك بأن فيهم نسبًا من طريق هاجر أمّ إسماعيل، وصهرًا من طريق مارية أم إبراهيم.

وفى زمن الخلفاء كان المسلمون يُرَقُّون العلماء - بقطع النظر عن دينهم - ويقلدونهم المناصب الرفيعة، ، كما كانت إدارةُ المدارس مفوضةً مع نبل الرأى وسعة الفكر من الخلفاء إلى النصارى النسطوريين تارة، و إلى اليهود تارة أخرى، ولم يكن يُنظر إلى البلد الذى عاش فيه العالِم أو الدينِ الذى يعتنقه، بل لم يكن يُنظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة. فعلى سبيل المثال وضع هارون الرشيد جميعَ المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه، واتخذ المنصورُ جيورجيسَ بنَ بختيوشع طبيبًا له، وأعلى مكانته حتى على وزرائه. وممن حظى بالمكانة العليا عند الخليفة المهدى: تيوفيل بن توما النصرانى المنجم، كما عُرف حنينُ بنُ إسحق النصرانى بفصاحة العبارة وحسن الترجمة فى زمن المأمون وهو فتى، فكلفه بترجمة الكتب، وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهبًا، كما بلغ ثابتُ بنُ قرة الصابئُ مكانةً رفيعةً عند العامة والخاصة فى زمن المعتضد، لنبوغه فى الطب والرياضيات والمنطق.(٢)

إن مثل هذه المعاملة من المسلمين لغير المسلمين تُطلع العالم أجمع على أن الإسلام ربَّى أتباعه على التسامح وعلى رعاية حقوق الناس وعلى الرحمة بجميع البشر مهما اختلفت عقائدهم وأجناسهم.(٣)

و إذا كان الأمر كذلك فمن ذا الذى يتطلع إلى أكثر من العدالة التى سادت الأمة الإسلامية، وتحققت بين أبنائها، كما تحققت بينها وبين الدول الأجنبية عنها على نحو منقطع النظير.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر، الحديث رقم ٢٥٤٣.

(٢) انظر الإمام محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٢٦ وما بعدها.

(٣) انظر د. أحمد عمر هاشم، الإسلام دين التسامح، دار الفاروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م، ص ١٥.

الإسلام وحرية الاعتقاد

ولما كان التعايشُ السلميُّ بين الناس أجمعين يستلزم حرية الاعتقاد التى هى حق رئيس من حقوق الإنسان فإن الإسلام قد احترمها، ولم يُكره الناس يومًا على مدى تاريخه حتى يتبعوه، بل إنه جعل الدعامة الأولى للتدين حريةَ العقل والإرادة؛[1] لأن الإكراه لا يُكوّن العقائد، بل على العكس ينفِّر منها، ويسيء بها الظنون، وطبائعُ الأشياء ترسم للعقائد طريقًا يبدأ حتمًا من الحرية العقلية المطلقة،[2] قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٦]، وقال: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس، الآية ٩٩]، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ [سورة الكهف، الآية ٢٩].

كما كانت حياة الرسول ﷺ نموذجًا وقدوة على التعايش السلمى الذى يحفظ على الإنسان كرامته الإنسانية وحريته الدينية الكاملة، «فقد صالح رسول الله ﷺ نصارى نجرانَ وأقامهم فى شَطر مسجده يؤدون شعائر دينهم وكتب لهم عهدًا جاء فيه: ولنجرانَ وحاشيتهم جوارُ الله وذمةُ محمد النبى رسولِ الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدم وبيَعهم، لا يُغيَّر أسقُفٌ عن سِقّيفاه، ولا راهب عن رهبانيته، ولا واقفٌ عن وَقْفَانيَّته.. وأن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكيثر من بِيَعهم وصلواتهم ورَهبانيتهم، لا يُحشَرون ولا يُعْشَرون، ولا يطأ أرضَهم جيشٌ، ولا يُغَيَّر حق من حقوقهم ولا سُلْطانُهم ولا شيءٌ مما كانوا عليه ما نصحوا وأخلصوا فيما عليهم غير مُثْقَلين بظلم أو ظالمين».[3]

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة أسس أول دولة مدنية عرفها التاريخ يسودها التعايش السلمى والمناصرة والتناصح والتعاون على البر من دون الإثم والمشاركةُ بين جميع أطيافها من مسلمين ويهود ومشركين وجماعات من النصارى لحقت بها بعد ذلك، هذه الدولة

(١) انظر عبد المتعال الصعيدى، حرية الفكر فى الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٦.

(٢) انظر محمد الغزالى، الإسلام والاستبداد السياسى، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١١، ٢٠١٥م، ص ١١٤ وما بعدها.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط١، ١٩٩٨م، ج١ ص ٢٦٦، ٣٥٨.

المدنيـة تحـترم «حق المواطنـة» الذى يقوم على أسـاس المسـاواة فى الحقـوق والواجبات دون النظـر إلى الانتـماء الدينى أو العرقـى أو المذهبى أو أيـة اعتبارات أخـرى، فالاعتبار الوحيد هنا هو الإنسـانية والمواطنة،[١] فوضع النبى ﷺ دسـتورًا وقواعد تنظم العلاقاتِ السياسـيةَ والاجتماعية بين سـكان المدينة قال فيها: «و إنه من تبعنا من يهودَ فإن له النصرَ والأُسْـوةَ غيرَ مظلومين ولا متناصرين عليهم».[٢]

والعدالـة فى هـذه الوثيقة تمثلـت فى توافُق الحقـوق والواجبات وتناسـقها، فإنها تضمنت حقوق الأفراد جميعًا فى ممارسـة الشـعائر الدينية الخاصة، وحقوقَهم فى الأمن والحرية وصون أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودور عبادتهم.

كما قامت هذه الوثيقة على أربعة محاور:

الأول: التعايش السلمى بين الجميع، وتوفيرُ الأمن للجميع، قال: «أنه من خرج آمن، ومن قعـد آمـن بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وأن الله جارٌ لمن برَّ واتقـى»، وقال: «وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم».

والثـانى: المحافظـة عـلى الحرية الدينيـة للجميـع، قـال: «وأن لليهود دينَهم وللمسـلمين دينَهم».

والثالث: إعطاء الفرصة للجميع فى المشـاركة الاجتماعية والسياسية والعسكرية بصورة عادلة.

والرابع: إقرار مبدأ المسـئولية الفردية، وأصلُ هذه المسـئولية الفردية الإعلانُ عن النظام، وأخذُ الموافقة عليه،[٣] قال: «أنه لا يكسـب كاسـب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبرِّه، وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم».

إن هذه الوثيقة تعد أول دستور حقوقى مكتوب فى التاريخ يعترف بحقوق المواطنة لجميع

(١) انظر د. على جمعة، النماذج الأربعة من هدى النبى ﷺ فى التعايش مع الآخر، الأسس والمقصد، دار الفاروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق إيهاب أحمد هاشم، دار البيان العربى، القاهرة، ٢٠٠٥م، ج٢، ص ٧١.

(٣) انظر د. على جمعة، المساواة الإنسانية فى الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٩٠.

سكان الدولة باعتبارهم «أمةً من الناس»، فهم جميعًا شركاء فى نظام سياسى واحد يضمن لهم حقوقًا متساوية، ويستظلون بحماية الدولة مقابل أدائهم واجباتهم فى الدفاع عنها، لذا وقّع على هذه الوثيقةِ سكانُ المدينة كلُّهم، ورضُوا بها دستورًا حاكمًا بينهم لما وجدوه بها من عدل ومساواة واحترام لكافة حقوق الإنسان العامة بما فيها حرية التدين، فسبقت المدينة المنورة غيرها من مناطق العالم ومدنِه فى تحقيق دولة مدنية قوية تضمن حقوق المواطنة، وتُنمى شعور الهويةِ والانتماء لدى أفرادها، وتنير العالم بنظامها المدنى الحديث، ودعوتها الدينية السامية، فكانت بحق أنموذجًا لدولة القيم والأخلاق والدستور والمواطنة.(١)

فالدولة الإسلامية إذن تعتمد التعددية الدينية والسياسية والفكرية فى الأمة ليس باعتبارها فقط من تجليات الحرية وحقًّا من حقوق الإنسان، وإنما باعتبار هذه التعدديةِ سنةً وقانونًا كونيًّا واجتماعيًّا لا تبديل له ولا تحويل، فالواحدية والأحدية للخالق - سبحانه - فقط، أما ما عداه فى عوالم الخلق فقائم على سنة التعدد والتمايز والاختلاف(٢) القائمةِ على التسامح الذى هو أكثر من مجرد قبول الآخر، لأنه يتجاوزه إلى الاعترف بحقه فى التباين،(٣) ووضع نظام القيم والمواقف والمؤسسات والعمليات التى يمكن أن تترجِم هذا الواقعَ المتنوع إلى تماسك اجتماعى مستدام، واستقرارٍ سياسى، وتنميةٍ اقتصادية،(٤) ضمن نظام متكاملٍ مُعْتَمدُه مبدأ التعايش السلمى.(٥)

ويزيد الأمر وضوحًا ما جاء فى كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك اليمن: «وإنه مَنْ أسلم من يهودى أو نصرانى إسلامًا خالصًا من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين له مثلُ ما لهم وعليه مثلُ ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُردُّ عنها».(٦)

وقال رسول الله ﷺ: **«من قتل معاهِدًا لم يَرِح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»**.(٧)

---

(١) السابق، ص ٣٨.
(٢) انظر د. محمد عمارة، فى النظام السياسى الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٤٧.
(٣) انظر د. عصام عبد الله، التسامح، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٥٥.
(٤) انظر د. عبد الله أحمد النعيم، الإسلام وعلمانية الدولة، دار ميريت، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ٣٠٣.
(٥) انظر د. على جمعة، أمن المجتمع واستقراره من منظور إسلامى، دار المعارف، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٨٥.
(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق إيهاب أحمد هاشم، دار البيان العربى، القاهرة، ٢٠٠٥م، ج ٤، ص ١٥٢.
(٧) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، الحديث رقم ٣١٦٦.

وقال أيضًا: «**ألا من ظلم معاهِدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة**».(١)

ومما يؤكد احترام الإسلام حرية الاعتقاد أنه ميز بين صنفين من المرتدين عن الإسلام: الأول: المرتد الذى خرج عن الإسلام بتغيير معتقده دون حرابة أو فوضى أو إثارة فتنة، والثانى: المرتد الذى أدت به ردته إلى الخروج على الإسلام بحركة عِدائية ملموسة انقلب فيها على ولائه للدولة الإسلامية، واستخف بدينها، وخان الجماعة، وتمرد على الشرائع والقوانين على نحو يؤذن بانفراط عقد الجماعة وانهيار كيانها السياسى والاجتماعى، وسعى إلى إثارة الشبهات التى تقوم فى نفسه فقط وقد لا تكون قائمة عند سواه، و إذاعةِ هذه الشبهات و إشاعتها بين الناس ودعوتهم إلى تبنيها وتصويرها كما لوكانت حقائقَ علمية تصادم حقائق الدين أو عقائدَ تنافس عقائد الإسلام، ومعارضةِ شرائع الإسلام جملة أو إنكارِ صحةِ بعضها مهما بدا جزئيًّا، كل أولئك أو بعضه تتحقق به حالة متميزة عن العقيدة الخاصة المخالفة لعقيدة الإسلام.(٢)

فالأول جزاؤه معنوى فقط فى الدنيا احترامًا لحقه فى اعتقاد ما يشاء، ومادى ومعنوى فى الآخرة، يدل على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾ [سورة النساء، الآية ١٣٧]، وقولُه: ﴿ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٧]، أما الثانى فجزاؤه مادى ومعنوى فى الدنيا والآخرة؛ لأنه اجتمع فيه وصفان: الكفر، والحرب، يدل على ذلك ما أورده البخارى من حديث أبى قلابة قال: «والله ما قتل رسول الله ﷺ أحدًا إلا فى إحدى ثلاث خصال: رجل قتَل بجريرة نفسه فقُتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله وارتد عن الإسلام»،(٣)، وكذلك ما أورده مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ**

(١) سنن أبى داود، كتاب الخراج والفىء والإمارة، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، الحديث رقم ٣٠٥٢.

(٢) انظر د. عبد الله أحمد النعيم، الإسلام وعلمانية الدولة، دار ميريت، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٦٤ وما بعدها، ود. على جمعة، المساواة الإنسانية بين النظرية والتطبيق ص ٩٥ وما بعدها.

(٣) صحيح البخارى بشرح ابن حجر، كتاب الديات، باب القسامة، حديث رقم ٦٨٩٩.

مسلم يشهد أن لا إله إلا اللهُ وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».[١]

ومما يؤكد احترام الإسلام حرية الاعتقاد - أيضًا - اللازمةَ للتعايش والأمن والسلم فى المجتمع الإنسانى أنه كان يكتفى من الفتح بإدخال الأرض تحت سلطانه، ثم يترك الناس وما كانوا عليه يؤدون ما يجب عليهم فى اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد، وإنما يكلفهم بجزية يدفعونها عونًا على صيانتهم والمحافظة على أمنهم فى ديارهم وهم فى عقائدهم وعباداتهم وعاداتهم بعد ذلك أحرارٌ لا يُضايَقون فى عمل ولا يضامون فى معاملة.[٢] وذلك لأن إحلال السلام والأمن والاستقرار السياسى، والتنمية الاقتصادية فى المجتمع الإنسانى - وفق الرؤية الإسلامية - يمر عبر نظام للعلاقات الدولية تحكمه قيم العدل، والمساواة، والحرية، وتحوطه أخلاقياتُ الوفاء بالعهود، والأمانة، والصدق، وتقوده مبادئُ التعاون، والاعتماد المتبادل، والعمل المشترك.[٣]

(١) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، الحديث رقم ١٦٧٦.

(٢) انظر الإمام محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٢م ص ٦٨ وما بعدها.

(٣) انظر د. إبراهيم البيومى غانم، المبادئ العامة للنظرية الإسلامية فى العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧.

الفصل الثالث

أبرز التحديات التي تواجه التعايش بين الأديان وكيفية مواجهتها

رسالة الغرب للمسلمين

وعلى الرغم من أن الإسلام دين التسامح، والعدل، والمساواة، واحترام حقوق الإنسان، والأخلاق السامية، والمحبة، والتعايش السلمى بين الناس أجمعين دون تعصب عرقى، أو دينى، أو مذهبى - إلا إنه يُواجَه بتيار شديد التعصب فى الغرب دون مبرر، يريد أن يبلغ المسلمين النقاط الآتية:

أولاً: حضارة الغرب هى الحضارة الوحيدة التى يجب أن تكون عالمية.

ثانيًا: قيم الغرب هى التى تضمن حقوق الإنسان وهى محل تقديس ولن يُسمح لأحد بتهديدها.

ثالثًا: الأيديولوجيا الغربية فى الاقتصاد والسياسة هى الأفضل على مستوى العالم.

رابعًا: مصالح الغرب فى بلاد المسلمين هى مسئولية الحكومات فى هذه البلاد، ولن يُسمح بالمساس بهذه المصالح.

خامسًا: الغرب ليس مسئولاً عن تخلف العرب والمسلمين الذين يجب عليهم التخلى عن قيمهم البالية إذا أرادوا التقدم العلمى والتكنولوجى.

سادسًا: كل ما تفوّه به العرب عن حق الدفاع عن النفس فهو إرهاب ولن يَتهاون الغرب معه.

سابعًا: إسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط، ولن يتخلى الغربُ عنها.

ثامنًا: على الحركات الإسلامية فى المجتمعات العربية أن تتحول إلى حركات سياسية تنبذ العنف، وتشارك فى الحياة السياسية، وتؤدى دورًا مُقْنعًا فى مؤسسات الدولة، مع أن الحكوماتِ الغربيةَ تتصل بأمراء هذه الجماعات المتطرفة، وتمنحها حق اللجوء السياسى ضد رغبة الحكومات العربية والإسلامية القائمة.

تاسعًا: على الأنظمة العربية أن تكون مستعدة لتقبل نتائج الديمقراطية بحيث تكون مستعدة للاعتراف بالهزيمة والانضمام إلى الحياة المدنية العادية، وتشجيع الديمقراطية فى العالمين: العربى، والإسلامى، بشرط ألا تأتىَ بحكومات ذات مرجعية دينية، و إلا انقلب الغربُ على قواعد اللعبة الديمقراطية،(١) كما هو الحال فى النموذج الجزائرى.

رسالة المسلمين إلى الغرب

وفى المقابل أيضًا يوجه المسلمون رسالة شديدة الوضوح إلى الغرب يمكن تلخيصها فى نقاط:

أولا: الحد من الاعتداء على المسلمين وظلمهم، ومنعُ تحرش السفهاء بهم فى المجتمعات الغربية.

ثانيًا: التوقف عن العبث العلمى والتاريخى الذى يصف رسالة الإسلام بأنها بدعة إنسانية، والكفُّ عن اتهام الرسول ﷺ بصفات لا تليق به.

ثالثًا: العمل على إعادة صياغة الموقف المسيحى من الإسلام وأهله بما يتناسب مع الحقائق بعيدًا عن نسيج الأوهام والرغبات والأطماع.

رابعًا: إخراج قضية الحوار من الجدل العقيم إلى سلوك ترتضيه جميع الأطراف.

خامسًا: بسط الحقائق المجردة، والتسليمُ للحق، والتخلى عن منطق الاستعلاء فى الحوار، ومحاولةِ تبرئة الممارسات المنحرفة عن جادة الصواب بقصد إنقاذ السمعة.

سادسًا: التخلى عن الإفراط فى تقييم الذات، وتطاول العقل الجمعى المسيحى على حساب المسلمين.

سابعًا: الكف عن الادعاء الكاذب بأن الإسلام ضدُّ المبادئ العامة للديمقراطية، واتهامِ أهله بأنهم لا يحترمون حقوقَ الإنسان فى حين أن أمريكا تنتهكها على نحو صارخ كما حدث فى سجن أبى غريب بالعراق، وكما هو الحال فى معسكر جوانتانامو فى كوبا على سبيل المثال، فضلاً عن التنصت على هواتف المسلمين واعتقال بعضهم دون إبداء الأسباب.

---

(١) انظر د. إيهاب حفظى، الإسلام والغرب صراع أم تعايش، إيتراك، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص ٢١١ وما بعدها.

ثامنًا: الكف عن سياسة توجيه الضربات الاستباقية على نحو غير مبرر بناء على تقارير استخباراتيةٍ غير دقيقةٍ بحجة إجهاض الإرهاب المحتمل والحفاظ على الأمن.

تاسعًا: الامتناع عن محاربة ارتداء المرأة المسلمة الحجابَ فى المجتمعات الغربية كما هو الحال فى فرنسا وألمانيا.

عاشرًا: الكف عن ازدراء الدين الإسلامى، والامتناعُ عن تقديم الرسوم المسيئة إلى الرسول ﷺ كما حدث ولا يزال يحدث فى الدانمارك بدعوى حرية الفكر والإبداع.(١)

حادى عشر: التخلى عن استغلال قارعة سبتمبر ٢٠٠١م التى تحوم الشكوك حول صانعيها وأهدافهم لتعميق الصورة النمطية التى صنعها الغربيون للمسلمين والتى تنظر إلى عقيدة الإسلام على أنها لا تحترم حقوق الإنسان ومبادئَ التعددية والتسامح والحرية الدينية،(٢) كما تنظر إلى الشعوب الإسلامية على أنها شعوبٌ متخلفة معادية للحضارة والقيم الإنسانية، وتتخذ ذلك ذريعة للهجوم العسكرى على بعض بقاع العالم الإسلامى كما حدث فى أفغانستان والسودان.(٣)

ثانى عشر: العدول عن تخيير المسلمين بين العلمنة التى تستلزم طمس الهوية الإسلامية، والتبعية الفكرية للغرب، وبين أن يكونوا العدوَّ الذى تُوجه إليه الحملاتُ الإعلامية الظالمة، والآلات العسكرية الباطشة، تمهيدًا للهيمنة الغربية على العالم الإسلامى ونهب ثرواته الذى هو المقصد الأعظم لمشروع الهيمنة الغربى.(٤)

أبرز التحديات التى تواجه التعايش فى الوقت الحاضر

وبعد أن تم إلقاء الضوء على جانب من الرسائل المتبادلة بين المسلمين وغيرهم يحسن

(١)انظر د. إيهاب حفظى، الإسلام والغرب صراع أم تعايش، ص ٢١٣ وما بعدها.

(٢) انظر د. خليفة حسين العسال، التسامح الدينى فى الإسلام، بحث منشور ضمن كتاب المؤتمر الدولى السابع للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة بعنوان: «الإسلام والغرب حوار أم صراع»، ٢٠٠٢م، ص ٦١١.

(٣) انظر د. محمد عمارة، صورة الإسلام فى الخطاب الغربى، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٤٣ وما بعدها.

(٤) السابق، ص ٤٥ وما بعدها.

الوقـوف على أبـرز التحديات التـى تواجه التعايش المنشـود بين الناس أجمعـين على اختلاف أجناسهم وأديانهم وتوجهاتهم الفكرية، والتى يمكن أن نلخصها فى نقاط محددة:

١) مـا زالت النظرةُ القديمة التى سـادت العصورَ الوسـطى التى تتوهم فى ظهور الإسـلام خطرًا على وجود الأديان الأخرى مسيطرةً على عقول جماعةٍ محدودةِ الآفاق بعيدةٍ عن التسامح الدينى تحاول أن تبنىَ الحواجز فى وجه النور.(١)

وعلى الرغم من أن المسلمين يؤمنون بنبوة موسى وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ويسمحون لغيرهم بالعيش بينهم فى أمان، لا يؤمن اليهود وأغلب النصارى بنبوة محمد ﷺ، ويرفضون أن يعيش المسـلمون بينهم ويعادونهم على كافة الأصعدة، ويروجون فى وسائل إعلامهم أفكارًا مشوهة عن المسلمين تصورهم برابرة وقساة ومتعصبين متعطشين للدماء، ومعادين للغرب وإسرائيل.

وقد سعى هؤلاء بشتى السبل الممكنة إلى التوسع فى نشر الصورة النمطية المشوهة للإسلام فى الغـرب منذ العصور الوسـطى حتى الوقت الحاضر، تلك الصورة التى تقدم الإسـلام للرأى العام الغربى والعالمى على أنه دين باطل، وضلال متعمد عن الحقيقة، انتشر بالسـيف والعنف، وأغرى البسطاء والضعفاء والمهمشين باعتناقه من خلال إباحته الانغماسَ فى اللذات والشهوات والتوسعَ فيها، فضلاً عن أن نبيه ﷺ معادٍ للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد فعل الشر حينما أسس ديانة يعارض بها الديانة الحقيقية المسيحية.(٢)

وأخطر الأباطيل التى ينسـبها الغرب إلى الإسـلام كما يقـول موريس بوكاى: «تلك التى تخص الأمور الفعلية، وإذا كنا نسـتطيع أن نغفر لأخطاء خاصةٍ بالتقدير فإننا لا نسـتطيع أن نغفر لتقديم الوقائع بشكل ينافى الحقيقة. بل إننا لنصاب بالذهول عندما نقرأ فى أكثر المؤلفات جدية أكاذيبَ صارخةً برغم أن مؤلفى هذه المؤلفات هم بالمبدأ مؤلفون أكفاء».(٣)

---

(١) انظر زيغريد هونكه (مستشرق ألمانى)، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية فى أوربة، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى، مراجعة فاروق عيسى الخورى، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٩٣م، ص ١٢.

(٢) انظر د. أحمد محمد جاد عبد الرازق، الصور النمطية الغربية للإسلام فى العصر الحديث، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولى السابع للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، بعنوان: «الإسلام والغرب، حوار أم صراع»، ٢٠٠٢م، ص ٥٤٤ وما بعدها.

(٣) انظر موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ٢٠١٥م، ص ١٣٥.

٢) ومما يؤكد كراهيتهم وحقدهم على الإسلام أنهم جندوا عددًا كبيرًا من المستشرقين للطعن فى الإسلام وتشويه حقائقه. وأسلوبُهم الأثير أن يُلبسوا الحق بالباطل، وأن يمزجوا بشتى الحيل بين بعض المعارف الصحيحة والأكاذيب المفتراةِ فى سياق يبدو لقليل الدراية أنه بحث علمى محايد لا ريب فيه، وهدفُهم الذى يرنون إليه هو تحطيم الإسلام، لكنهم يختلفون فى أسلوب تحقيق هذا الهدف، فمنهم من يغلبه حقده فينثر من كنانته وابلاً من الشتائم ضد نبى الإسلام ﷺ وصحابته وشريعته، ومنهم من يطوى ضغنه ويتحين الفرص المناسبة لإبداء مطاعنه، ومنهم - انطلاقًا مما وقر فى نفسه من تكذيب للنبوة وما يتبعها - من يميل إلى التحريف والتزييف، ومنهم من تروعه سطوة الحق فى هذا الدين فيؤمن بعقله وإن بقى كافرًا بقلبه، ومنهم من يستحى - أمام نصوع الحق فى هذا الدين - أن يلصق به الاتهامات والخرافات التى لُقنت له، ومع ذلك تبدو منه سقطاتٌ فى تناول الإسلام ورسالته ورسوله ﷺ، وعلةُ ذلك أن أولئك المستشرقين يَعملون لحساب الاستعمار المسيحى الأوربى والأمريكى، وأنهم جزء من جيش يحاول أن يهد بناء الإسلام الشامخ، وينقض ما ظل سامقًا دهرًا طويلاً من أمجاد أمته.(١)

فعلى سبيل المثال يذكر جولدتسيهر فى كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام» أنه من الواضح أننا لا نستطيع أن نطبق فى العصر المدنى على عمل محمد المثلَ القائل: «الكلمةُ أقوى من السيف»، فمنذ تركِه مكةَ تغير الزمن ولم يصر واجبًا بعدُ الإعراضُ عن المشركين، أو دعوتُهم بالحكمة والموعظة الحسنة، بل حان الوقت لتتخذ كلمتُه لهجة أخرى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٥]، فهو الآن يحمل السيف فى العالم، ولا يكتفى بعصاه التى يضرب بها الأرض، ولا بنفثات شفتيه لإبادة الكفر، بل هو نفير الحرب الذى كان ينفخ فيه، وهو السيف الدامى الذى رفعه لإقامة مملكته، فكانت مهمته حملَ اللقب الذى ورد فى التوراة وهو «نبى القتال والحرب»، والنتيجةُ أنه لم يكن عنده أى إيثار للسلام(٢): ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [سورة محمد، الآية ٣٥].

---

(١) انظر محمد عزت الطهطاوى، الإسلام ومشكلات معاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٦ وما بعدها.

(٢) انظر إجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة فى الإسلام، ترجمة د. محمد يوسف موسى، ود. على حسن عبد القادر، ود. عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٥٩م، ط٢، ص ٣٤ وما بعدها.

وقد أغفل جولدتسيهر أن الجهاد شُرع فى الإسلام للدفاع عن النفس ولتأمين نشر الدعوة دون فرضها على أحد، ودون عدوان على أحد، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٦]، وقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٤]، وقال: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ﴾ [سورة التوبة، الآية ٦].

ولم يكتف جولدتسيهر بالطعن فى الإسلام ونبيه ﷺ، بل طعن كذلك فى بعض الحركات الإصلاحية، ومجَّد فى الوقت نفسه بعض الحركات المنحرفة التى اتبعت سبيلاً غير سبيل المؤمنين، فقال: «بينا الحركةُ الوهابية التى نشأت فى شبه الجزيرة العربية.. توجه نظرها إلى الماضى، وتنكر الصفة الشرعية لما أحرزه المسلمون من تقاليد وسننٍ خلال تطورهم التاريخى، ولا تريد أن تعترف بالإسلام إلا على هيئةٍ حفريةٍ متحجرة من حفريات القرن السابع الميلادى، نجد حركة أخرى من الحركات الطارئة التى حدثت فى الإسلام فى عصر أحدث من عصر قيام الوهابية، تؤمن بالتطور الدينى للجنس البشرى وتجعل من إيمانها هذا مبدأ أساسيًّا من مبادئها، وفكرةً حيوية فى تعاليمها، وأعنى بها الحركة البابية التى كان مهدها فى بلاد الفرس».[١]

٣) ومع أن الحوار بين الأديان لا يهدف إلى تغيير العقائد، وإنما يهدف - فى المقام الأول - إلى الوقوف على القواسم المشتركة وتعظيم الاستفادة منها على النحو الذى يصب فى مصلحة الجميع، إلا إن الكثيرين لا يدركون أبعاده وغاياته الحقيقية، والمخاطرَ المترتبة على محاولة أحد أطراف الحوار استقطابَ الآخر أو إقناعَه بالخروج من عقيدته واعتناق غيرها، الأمر الذى يؤدى إلى نتائج عكسية وينكأ الجروح القديمة، ويؤجج الصراع بدلاً من إنهائه.

٤) ومما يزيد الأمر تعقيدًا أن هناك من الكُتاب الغربيين من يروج حتميةَ الصراع بين الإسلام والمسيحية؛ لأن المسلمين يؤمنون بأن شريعتهم هى الخاتمة للشرائع الإلهية، وأنها ناسخة للمسيحية، أو على الأقل مصححة لما فى الإنجيل من أخطاء بعد أن امتدت إليه يد التحريف، الأمر الذى يؤدى إلى اصطدام الإسلام حتمًا مع المسيحية التى يرفض أتباعها أى

(١) جولدتسيهر، العقيدة والشريعة، ص ٢٧٠.

نبـى يأتى بعدهـا، ويعتبرون هذا النبى زنديقًا، وهذا الرفض الطبقى للدين الإسـلامى قد صاغ على مر القرون صورة الشرق لدى الغرب المسيحى.(١)

٥) يُضـاف إلى ذلك سـيطرةُ الصهيونية العالمية على الإعلام العالمى، وقيامُها بإشـعال نيران العـداوة والبغضـاء، بحيث يختلط الحق بالباطل، وتضيع الحقيقة بـين أصحاب الصوت العالى، وبين همسـات المسـلمين الذين تفرقوا بعد اجتماع، وتعصبَ أغلبُ المنتسـبين إلى الإسـلام إلى وطن وعـرق وجنس ولون فضعفت الهمة وخارت العزيمة، وسـارعت الأقلياتُ غيرُ المسـلمةِ فى العالم الإسـلامى إلى الاتصال بالغرب مستعينةً به ومستعديةً إياه للعالم الإسلامى بزعم أنها لا تحظى بحق المواطنة على نحو صحيح فى الدول التى تعيش فيها.

كما تسـعى الصهيونيـة العالميـة إلى تحطيم معنويات رجـال الفكر الإسـلامى حتى تفل عزائمَهم عن عرض هذا الفكر، ومعنويات الشـباب المتدين من أبناء هذا الجيل، والتشكيكِ فى صلاحية الإسـلام لهذا العصر، والتشكيك فى الرموز الدينية، وتعمد السخرية منهم، وتضخيم سـقطاتهم حتى يزهدهم العامة وبالتـالى يزهدون الدين، ويحاولـون دون كلل إحلال عقيدة أخرى مهزوزة ممزقة فى القلوب محل عقيدة الإسلام وإن تسمت باسمه ولكنها فى حقيقة الأمر شىء آخر.(٢)

٦) ومما أدى إلى تفاقم المشكلة - أيضًا - إخفاقُ معظم الأنظمة السياسية فى العالم الإسلامى فى تحقيق وعودها بالرخاء والتقدم مما دفع بعض الشرائح الاجتماعية من شـعوبها إلى التطرف الديـنى، فى حـين أن العالم الغربى نجـح فى تحقيق التقدم وصناعة التكنولوجيا، ويسـعى لنشر ثقافتـه وفرضهـا على العـالم الأقل تقدمًا من خلال طرح تسـاؤلات فلسـفية دينية حول أصل الإنسـان والحيـاة والموت خاصة بعد اكتشـافه الخريطةَ الجينية للإنسـان، ومحاولةِ التدخل فى طبيعة الخلية الحية والجينات الوراثية.(٣)

٧) ولا يزال كثيرون من النصارى - أيضًا - يحكمون على الإسلام بأنه مجموعة من العناصر المتفرقـة التـى أُخذت من العناصر الرائجة إبان ظهوره، ويُحمّلون الإسـلام مسـئولية التخلف

(١) تيم جولديمان، الشرق والغرب مواجهة أم تفاهم، ترجمة رضا حامد، ومحى الدين بدر وآخرين، مراجعة د. محمد أحمد منصور، ٢٠٠٦م، ص ٢٨.
(٢) انظر محمد عيسى داود، سر الكراهية أمريكا التلمودية، ص ١٢٥.
(٣) انظر د. إيهاب حفظى، الإسلام والغرب صراع أم تعايش، ص ١٢٨.

الذى تعانى منه معظم البلدانِ الإسلامية متناسين أن الحضارة الغربية مدينة فى ازدهارها إلى العلوم المأخوذة عن العرب والمسلمين فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية، كما أنهم يعتبرون الأقلية المتشددة من المسلمين هم الممثلين الحقيقيين للإسلام، ويربطون بين انتشار الإسلام والسيف، ويغفلون أن الإسلام دين السلام والرحمة والتسامح والعدل، وأن الغالبية العظمى من أتباعه محبون للسلام ويدعون إليه ويحرصون على التعايش مع غيرهم على نحو يصب فى مصلحة الجميع.

٨) كما أن شبكة المعلومات الدوليةَ «الإنترنت» تعج بكراهية أصحاب المواقع الإلكترونية المختلفة للإسلام وأهله، والتشويه المتعمد، والاتهامات الباطلة لنبيه ﷺ خصوصًا بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م، حيث تعالت بعض الأصوات فى هولندا وإيطاليا تحذر من أسلمة أوربا، وتدعو إلى الحد من الهجرة إليها، والمراجعة الجذرية للوجود الإسلامى فيها، بزعم أن فكرة التعايش بين الثقافات خصوصًا الإسلامية فكرةٌ ساذَجةٌ يجب التخلى عنها.(١) كما اشتعلت حملات إعلامية معادية للمسلمين فى أوربا صاحبها إثارة أسئلة خبيثة، منها: هل الإسلام عقيدة الشيطان؟ وهل العنف من مبادئ الإسلام؟ وهل الإسلام يُحرّض أتباعه على قتل مخالفيهم فى العقيدة؟ وهل الجهاد فى الإسلام معناه قتل غير المسلمين؟

وقد أدت هذه الحملات الإعلامية المحمومة إلى إحراق كثير من المساجد ونبش قبور موتى المسلمين فى فرنسا، والتحرش بالفتيات المسلمات مما دفع عددًا كبيرًا من بنات ونساء المسلمين هناك إلى نزع حجابهن خوفًا من الاعتداء.

٩) وفى المقابل هناك من المسلمين من يسارعون إلى رفض الآخر، واتهامه بالضلال، متناسين قول الله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون، الآية ٦]، ويخلطون بين المسيحية والعالم الغربى، ويحملونها مسئولية ما حدث فى زمن الاستعمار من مساوئ لحقت بالمسلمين وتراثهم، ويسارعون إلى وصف المجتمع الغربى بأنه مجتمع مفكك دون الاهتمام بتحليل مقوماته بطريقة منصفة.(٢)

---

(١) انظر عبد الكريم الكيدانى، أوضاع المسلمين فى المجتمعات الغربية، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٢٠٠٤م بعنوان: «التسامح فى الحضارة الإسلامية»، ص ٧٤٣.

(٢) عبد الكريم الكيدانى، أوضاع المسلمين فى المجتمعات الغربية، ص ١٣٦ وما بعدها.

وهناك ممن ينتسبون إلى الإسلام من يسيئون إليه أكثر من أعدائه نتيجة جهلهم بتعاليمه من ناحية، ومحاولتِهم توظيفَ الدين لخدمة أغراض سياسية أو أطماع دنيوية من ناحية أخرى، الأمر الذى يؤدى إلى الانحراف بالدين عن الطريق المستقيم.[١]

١٠) كما أن بعض المسلمين يبررون مواقفهم من خلال إشارتهم إلى الإسلام نفسه، فيجعلون الصراع دينيًّا، فى حين أن الخطاب فى الغرب صبغتُه عَلمانية، ومعلوم أن وضع الحجج لا يتماشى مع قواعد الغرب فى تبرير المواقف خصوصًا بعد أن قلّت مساحة التفاهم المشترك فى أعقاب وضع الغرب رؤيتَه للصراع داخل أطر دينية هو الآخر بسبب نفوذ البروتستانتية الحديثة فى الولايات المتحدة الأمريكية من جهة،[٢] وسيطرة الفكر اليهودى التلمودى والنصرانى الصهيونى عليها من جهة أخرى. ذلك الفكر الذى يروج لأكذوبة معركة نهاية التاريخ التى يطلقون عليها معركة «هَرْمَجَدُّون»، والتى يشارك فيها المسيح اليهودى لتقييد الشيطان ونشر السلام والتمكين لأتباعه الأبرار ألف سنة فى الفردوس الأرضى، وحسب هذه الأكذوبة لن يأتىَ المسيحُ اليهوديُّ إلا بعد تمهيد الأرض له من خلال القضاء على المخالفين الأشرار فى هذا العالم، والذين لا يعدُّون فى نظرهم أكثر من حيوانات مستباحة الدم بل ربما أقل.[٣] ولا يخفى أن هذه الأكذوبة لها أبعاد خطيرة، منها:

أ- ترسيخ فكرةِ حتميةِ الصراع بين اليهود وغيرهم من الأمم الأخرى حتى انتهاء الملاحم، وقد كان لهذا الاعتقاد تأثيرٌ على موقف بعض اليهود من جدوى مشاريع السلام مع الآخرين، خصوصًا أولئك الذين يعتقدون أن الملاحم تسبق مجىء المسيح المنتظر، وأن السلام لا يكون إلا بعد مجيئه.

ب- قبول العالم لفكر الإبادة أو التصفية العرقية التى يقوم بها الكيان الصهيونى فى حق سكان المنطقة، إذ تحتاج الشعوبُ للتضحية بأرواح البشر، وكان هذا معروفًا جيدًا لأولئك الذين شنوا حروب الفتوح والغزوات خلال التاريخ، وهذه الامبراطورياتُ غالبًا ما فرخت دياناتِها، وذلك لإضفاء الشرعية على تضحياتها العنيفة، ولإضفاء القدسية على قتلاها.

(١) انظر د. محمود حمدى زقزوق، الدين للحياة، دار الرشاد، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٨٠ وما بعدها.
(٢) تيم جولديمان، الشرق والغرب مواجهة أم تفاهم، ص ١٥.
(٣) انظر سعيد عبيدى، معركة نهاية التاريخ وأبعادها السياسية والفكرية، مقال منشور ضمن مجلة البيان، القاهرة، يونيو ٢٠١٦م، العدد ٣٤٨، ص ٨٥ وما بعدها.

ج- التمهيد لإنشاء دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات باعتبار أن هذا وعدٌ إلهى ورد فى كتبهم المقدسة، وبأنهم سيمتلكون أرض الميعاد، وبالتالى يتحتم على كل نصرانى يؤمن بهذه الكتب أن يسعى لتحقيق هذه النبوءات حتى ينال رضا الرب.

د- تبرئة ساحة أمريكا والكيان الصهيونى من الاتهام بالعمل على وقوع هذه المعركة الكبرى المتوقعة، وربط ذلك بمشيئة الرب.(١) وفى هذا الصدد صرح الرئيس الأمريكى الأسبق «ريجان» بالقول: «إن هرمجدون التى تنبأ بها حزقيال لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السلاح، إن ذلك يناقض مشيئة الله كما وردت على لسانه».(٢)

١١) والنصارى أيضًا يروجون نصوصًا ينسبونها إلى السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ تنسف فكرة التعايش من أساسها، منها على سبيل المثال: ما نصه فى إنجيل متى (١٠/٣٤: ٣٦): «ما تظنوا أنى جئت لأحمل سلامًا إلى الأرض. ما جئت لأحمل سلامًا، بل سيفًا. جئت لأجعل الابن يختلف مع أبيه، والابنة مع أمها، وزوجة الابن مع حماتها، فيكون خصوم المرء من أهل بيته». ومنها أيضًا (متى: ١٢/٣٠): «من ليس معى فهو ضدى، ومن لا يجمع معى فهو يشتت». «ومنها كذلك ما ورد فى إنجيل لوقا (١٤/٢٦): «من يأتى إلىَّ ولا يُبغض أباه وأمه وزوجته وأبناءه و إخوته وأخواته، بل نفسَه أيضًا لا يستطيع أن يكون لى تلميذًا». وكذلك ما ورد من نصوص تدل على أن ما عدا الإسرائيليين هم والكلاب سواء، ولا يستحقون أية هداية أو معونة من يسوع، فعلى سبيل المثال جاء فى قصة المرأة الكنعانية (متى: ١٥/٢٦) أنها لما طلبت إلى المسيح المعونة فى شفاء ابنتها التى أصابها مس شيطانى أجابها قائلاً: «لا يليق أن يُؤخذ خبز البنين و يُلقى للكلاب».

١٢) وبعض المسلمين أيضًا يسيئون فهمَ بعض النصوص التى صحت نسبتها إلى النبى ﷺ على نحو يتعارض مع التعايش السلمى مع الآخر، منها على سبيل المثال: قوله ﷺ: «لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه».(٣) مع أن هذا الحديث خاصٌ ببنى قريظة ومن عاونهم من أهل الذمة والمعاهدين الذين نقضوا العهد مع النبى ﷺ وظاهروا المشركين لإخراج المسلمين من المدينة فى غزوة الخندق، فكان هذا خيانةً

(١) سعيد عبيدى، معركة نهاية التاريخ وأبعادها السياسية والفكرية، ص ٨٩ وما بعدها.
(٢) جريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٩٩٨م، ص ٥٢.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب السلام، باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يُرد عليهم، الحديث رقم ٢١٦٧.

منهم للعهد و إعلانًا للحرب، فنهى النبى ﷺ المسلمين عن أن يبدءوهم بالسلام لإشعارهم بعواقب نقضهم العهد و بدنوّ إعلان الحرب عليهم بعد انتهاء غزوة الخندق، فهذا ليس حكمًا عامًّا يشمل أهل الكتاب جميعًا أو اليهود جميعًا[1] بدليل قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة، الآيتان: ٨، ٩].

وفى صحيح مسلم: سلّم ناس من يهودَ على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال: «وعليكم»، فقالت عائشة وغضبت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «بلى. قد سمعت فرددت عليهم. و إنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا».[2] ولم يكن الرسول ﷺ لينهى عن السلام على أهل الكتاب أو أهل الذمة ثم هو يرد عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، بل يرد عليهم وهو يعلم أنهم يدعون عليه و يسيئون القول. فما وجدوا عند الرسول ﷺ إلا حسن الرد وحسن الخلق والرأفة والرحمة على الرغم من إساءتهم، فما بالنا لو كانوا مسالمين أو كانت أخلاقهم طيبة هل يُتوقع من رسول الله ﷺ أو من المسلمين أن يتجنبوهم أو يُغلظوا عليهم؟!

١٣) إن التدين الفاسد من أكبر التحديات التى تواجه التعايش السلمى بين أصحاب الشرائع، بل حتى بين أصحاب المذاهب فى الشريعة الواحدة، فقد يَدّعى أهلُ كلّ مذهب الاجتهادَ فى طلب الصواب، و يتحمل الأذى طلبًا للهدى وتحصيل الأجر فى اعتقاده، ومع هذا فإن العقل يقطع بضلال الأكثرين، وهذا قد يُشكل. و إنما كشفه أنه ينبغى أن يُطلب الهدى بأسبابه، فأما من فاتته الأسباب أو فقد بعض الآلات فلا يقال له مجتهد. فاليهود والنصارى بين عالِم قد عرف صدق محمد ﷺ لكنه يجحد إبقاء لرئاسته، فهذا معاند، و بين مقلد لا ينظر بعقله فهذا مهمل، فهو يتعبد مع إهمال الأصل، وذاك لا ينفع، و بين ناظر منهم لا ينظر حق النظر، فيقول: فى التواراة أن ديننا لا يُنسخ. ونسخُ الشرائع لاختلاف الأزمنة حق، ولكنه يقول: النسخُ بداء، ولا ينظر فى الفرق بينهما، فينبغى أن ينظر حق النظر.

---

(١) انظر د. على جمعة، النماذج الأربعة من هدى النبى ﷺ فى التعايش مع الآخر، دار الفاروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص ٦٢ وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب السلام، باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يُرد عليهم، الحديث رقم ٢١٦٦.

ومن هذا الجنس تعبُّد الخوارج مع اقتناعهم بعلمهم القاصر، وهو قولهم: لا حكم إلا لله، ولم يفهموا أن التحكيم من حكم الله، فجعلوا قتال عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتله مبنيًّا على ظنهم الفاسد.

ولما نهب مسلمُ بنُ عقبة المدينةَ وقتل الخلق قال: إنْ دخلتُ النار بعد هذا إننى لشقى، فظن بجهله أنهم لما خالفوا بيعة يزيد يجوز استباحتُهم وقتلُهم. فالويل لعامى قليل العلم لا يتهم نفسه فى واقعة ولا يذاكر من هو أعلم منه، بل يقطع بظنه ويقدم. وهذا أصل ينبغى تأمله، فقد هلك فى إهماله خلق لا تُحصى[1]: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [سورة الغاشية، الآيات: ٢: ٤].

١٤) ومن التحديات المهمة للتعايش السلمى فى الوقت الحاضر محاولة الغرب استمالة الأقليات داخل العالم الإسلامى لإيجاد مواطئ أقدام له فى إطار التصعيد ضد العالم الإسلامى بعد أن تعذر عليه ذلك إبان الحملات الصليبية، وليس المقصود هنا الأقلياتُ الدينية سواء كانت يهوديةً أو نصرانية، وإنما المقصود الأقلياتُ على نحو عام بما فى ذلك الأقليات العرقية أو المذهبية المسلمة، فقد تلاعب الغرب بقضية الأكراد وهم سنيُّون، وبالشيعة وهم مسلمون، وبالبربر وهم مسلمون ثم مالكيون، وذلك بهدف إشعال الفتنة، وبث عوامل الفرقة، وإثارة الصراعات التى تُفتت وحدة العالم الإسلامى بشكل عام، وتفتت دُوله إلى دويلات، والنموذجُ العراقى ليس منا ببعيد فى هذا الصدد.[2]

١٥) ولا يخفى أيضًا أن من أبرز التحديات المعاصرة للتعايش السلمى تلك الأصوليةَ الزائفة المتطرفة العنيفة الوافدة التى صُنعت على أعين الغرب، وتحت سمعه وبصره، ذلك الغرب الذى يغلب عليه التوجه الصليبى الصهيونى الذى يدعم تلك الأصوليةَ الزائفة ويرعاها فى الباطن، ويحاربها فى الظاهر، بهدف المكر بالإسلام، والكيد له تحت أقنعته، فى ظل التخفى بعباءته، وتحت أستاره وسدوله،[3] لتنفير الناس منه، وصدهم عنه، وتحفيزهم نفسيًّا، وحشدهم فكريًّا وعسكريًّا لمقاومته والتصدى له، بل والعدوان على أتباعه.

(١) انظر ابن الجوزى، صيد الخاطر، مكتبة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٩٨.
(٢) انظر د. محمد عمارة، الجديد فى المخطط الغربى تجاه المسلمين، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٢٩ ومابعدها.
(٣) انظر يوسف الحمادى، الإسلام وروح التسامح والرفق، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٦٤.

١٦) ومما يهدد التعايش السلمى فى المجتمع الدولى بأسره اتساعُ الفجوة بين المثال والواقع، أو بين النظرية والتطبيق فيما يتعلق بالعلاقات الدولية. فالعدالة - مثلاً - ليست معيارًا مفعلاً فى بناء العلاقات بين أعضاء المجتمع الدولى فى الوقت الحاضر. صحيح أنها لم تكن كذلك منذ أزمنة بعيدة إلا إن مضاداتها من الظلم والاستغلال والاحتكار والاستئثار تكاد تكون المعيار الحاكم لهذه العلاقات على مستويات مختلفة: عالمية بين الشمال والجنوب، و إقليمية بين القوى والضعيف، ومحلية بين الغنى والفقير.

وفيما يتعلق بمبدأ الوفاء بالعقود والمعاهدات والمواثيق الذى يُفترض فيه أنه الضامن لبناء التعاون الدولى وترسيخ ثقافة السلم فالفجوة هائلة هنا أيضًا بين المبدأ والتطبيق. وقد شهد عالمنا فى القرن الماضى ولا يزال يشهد كثيرًا من الانتهاكات والنكث بالعهود والمواثيق بدافعٍ من شهوة العدوان ونزعات الظلم وغطرسة القوة.

وفيما يتعلق بالثروة الهائلة فى نظم الاتصالات الحديثة ووسائط نقل المعلومات فإنها بدلاً من توظيفها فى تعميق التعارف بين الشعوب والأمم، وفى إغناء بعضها بمعرفة ثقافات وخصوصيات بعضها الآخر يتم تسخيرها لخدمة أغراض ومصالح أنانية، ولممارسة الهيمنة بالقوتين: الناعمة، والخشنة، وتجاهل التعرف على الأطراف الأضعف فى هيكل النظام الدولى، بل والسعى لطمس هوياتها وثقافاتها لمصلحة القوة المهيمنة.(١)

يؤكد هذا إعلانُ الولايات المتحدة الأمريكية أن القانون الجديد يتحدد وفقًا للمصالح والأهواء، وهو ما يعنى شيوع الفوضى، وانهيارَ الثقة فى المعاملات والقيم الدولية، وسيادة القوة، والعودة بالبشرية إلى قرون سابقة، والتضحية بصروح هائلة من المكتسبات الإنسانية فى كل المجالات.(٢)

وقد صاحب هذا محاولاتٌ مستمرة من الولايات المتحدة للتدخل فى العقيدة الإسلامية بحجة تنقيتها من ثقافة الإرهاب، وهو أمر يهدف إلى إعادة صياغة الهوية الإسلامية على

(١) انظر د. إبراهيم البيومى غانم، المبادئ العامة للنظرية الإسلامية فى العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٢ وما بعدها.

(٢) انظر د. عبد الله الأشعل، تحديات الحوار بين الإسلام والغرب فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولى السابع للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة بعنوان «الإسلام والغرب، حوار أم صراع»، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٤.

هـوى الولايـات المتحدة، وهو مـا يتحتم على المسـلمين مقاومته والتصدى له بكافة الوسـائل المشروعة.

وفى الختام أقول: على الرغم من كل هذه التحديات فإن التعايش بين أتباع الرسالات الإلهية الكـبرى فى العـالم الآن ضرورى أكثر من أي وقت مضى على كافـة الأصعدة، وتحقيقة ممكن إذا خلصـت النوايا وقامـت جميع الأطراف بواجباتهـا لبناء الثقة بين الحضارتين: الإسـلامية، والغربية، والدفاع عن حقوق الأقليات المسـيحية فى بلاد المسلمين، والأقليات المسلمة فى بلاد الغرب، واحترام كل طرف تاريخَ وثقافة الآخرين ومعتقداتهم ومقدسـاتهم، والتزام المجتمع الدولي بالحلول السـلمية للمنازعات، واحترام سيادة القانون فى العلاقات الدولية، والتعاون فى القضاء على الإرهاب الذى يهدد العالم بأسره، وعدم التركيز على قضايا الخلاف، والاعتماد على الحـوار الهادئ الهادف المتكافئ فى تقريب وجهات النظر، والتركيز على القواسـم المشـتركة وتعظيم الاسـتفادة منها، والتخلى عن كل أشـكال الإسـاءة إلى الآخرين، وتوحيد الجهود ضد الظلم والعنصرية وغطرسـة القـوة واحتكار الـثروات الطبيعة، والدفاع عن آدمية الإنسـان وكرامته وحقوقه المشروعة بفكر حر واع مستنير يهدف إلى السلام العادل والشامل.

توصيات البحث

خطوات قابلة للتنفيذ على طريق التعايش

وبعد أن تم الوقوف على أبرز التحديات التى تواجه التعايش المنشود بين معتنقي الأديان فإنه يحسنُ تقديمُ عدد من التوصيات التي يمكن ترجمتها إلى خطوات عملية قابلة للتنفيذ لأجل التعايش الذى يعد ضرورة للسلم والأمن فى المجتمعين: المحلي، والدولي، كما يُعد مدخلاً رئيسًا للتعاون المشترك بين البشر أجمعين - على اختلاف أجناسهم وأديانهم - من أجل التآلف الاجتماعي، والاستقرار السياسي، والتقدم الاقتصادي، والنهضة العلمية وتسخيرها لخدمة الإنسان بعيدًا عن إهدار مقدراته وطاقته فى النزاعات التى عانى ولا يزال يعانى منها المجتمع الدولى برمته، خصوصًا بعد أن أدرك الجميع بعد التجارب الإنسانية عبر تاريخها الطويل أنه ليس بوسع طائفة أو جماعة أو أتباع ديانة أن تقصيَ الآخرين، وليس من حقها أن تهدر حقوقهم فى الوجود لينعموا جميعًا بالاحترام المتبادل، وحرية الفكر والاعتقاد، والانتفاع بخيرات الأرض التى منحها الله - تعالى - البشرَ أجمعين، والتى تكفي أهلها، بل تزيد عن حد الكفاية إن هم أحسنوا استغلالها، وتعاونوا من أجل تنميتها لتعظيم الاستفادة منها. تلك الخطوات التى يمكن أن نبرز أهمها فيما يأتي:

أولاً: التعامل الشريف والنزيه مع الآخرين بعيدًا عن الأهواء والأغراض الشخصية والمصالح الآنية الضيقة، ومطالبةُ الأفراد فى الداخل والخارج بتحسين سلوكهم، و إعطاءِ انطباع جيد عن بلادهم ودينهم، والقبولِ الفعلى بالتنوع الثقافى بين الشعوب واعتبارِه مصدرًا لتقدم البشر، والاحترام المتبادل، والتسامح فى وجهات النظر والقيم الخاصة بمختلف الثقافات والحضارات وحقوق الأفراد المنتمين إلى جميع الحضارات فى الحفاظ على تراثهم وقيمهم الثقافية، ورفضُ تدنيس القيم الأخلاقية والثقافية وانتهاك الحرمات والمقدسات.

ثانيًا: العمل على احترام حقوق الإنسان بقطع النظر عن أجناس الناس وعقائدهم وتوجهاتهم الفكرية، وتطبيقُ المبادئ والقيم الأخلاقية العامة المشتركة بين كافة العقلاء بحيث تتطابق الأفعال مع الأقوال.

ثالثًا: تفعيل دور المؤسسات التربوية فى تربية النشء على التفكير العلمى الموضوعى

بمناهجه وأدواته المتنوعة، والتجردِ للحق والحقيقة، فى ضوء القيم الأخلاقية والأهداف النبيلة التى تخدم الناس أجمعين دون استثناء.

رابعًا: الاتصال بالدوائر الثقافية والفنية والعلمية فى الجامعات وسائر المؤسسات التعليمة والعلمية - بعيدًا عن الأوساط المشبوهة والجمعيات السرية - للاضطلاع بدورها فى نشر المعارف والعلوم الإنسانية التى تعين على فهم الآخرين ومقوماتهم الشخصية وتوجهاتهم الفكرية للتعرف على كيفية التعامل الصحيح معهم، والبحثُ عن القواسم المشتركة التى يمكن تعظيم الاستفادة منها، لأن الجهل بالآخرين، وإساءةَ الظنون بهم، والتوجسَ منهم، والتربصَ بهم يؤدى إلى عواقب وخيمة.

خامسًا: دعم المؤسسات الدينية للقيام بدورها فى تنقية الفكر الديني مما لحق به من أفكار هدامة بعيدةٍ عن جوهر الأديان الصحيحة التي تقود إلى الحق والخير، وتسعى لرقي الإنسان، مع التركيز على تجديد الخطاب الديني على نحو يحسن التمييز بين الثابت المطلق، والمتغير النسبي؛ لأن الخلط بينهما يؤدي إلى التعصب وعدم القدرة على تنزيل النص على الواقع على نحو صحيح، ويضر بفقه الأولويات إن لم يصبه فى مقتل.

سادسًا: التواصل مع الفضائيات العالمية التى تسمح بتقديم برامج ثقافيةٍ متعددة ومتنوعة تخدم أهدافًا ثقافية أو دينية، ويمكن للمسلمين التعاملُ معها، وتقديمُ أفكار ومادة متلفزة لهذه البرامج، وتكوينُ صداقات مع الأفراد، كما يمكن شراءُ مساحات للنشر فى الصحف العالمية واسعةِ الانتشار لتقديم الإسلام فى صورته الحقيقية السمحة.

وهناك مثال ناجح عام ١٩٨٤م، حيث قام د. كيث مور من جامعة تورنتو بكندا بتقديم مقالات فى خمس صحف كندية، وفى الإذاعة عرض فيها تقارير عن الأدلة العلمية التى وردت فى القرآن الكريم عن علم الأجنة.

كما يمكن الاتجاه إلى القنوات الفضائية التى تسىء إلى الإسلام، وتقديمُ برامج مجانيةٍ أو مدفوعةِ الأجر عن الإسلام الوسطى على نحو واع مدركٍ طبيعةَ العقل الغربى بدون تعصب فى محاولة جادة لجذب اهتمام الناس للتعرف على الإسلام.

ويحسن إنشاء هيئة إعلامية عربية إسلامية يكون أحدُ برامجها المتعددة والمتنوعة تقديمَ إنتاج سينيمائى عالمى يحسن تناول قضايا الإسلام والمسلمين بلغات أجنبية متنوعة، ويسحب

البساط من تحت أقدام الأعداء، و يساعد فى رفع أصوات الأصدقاء، إذ بقدر ما لنا من أعداء فى أمريكا والغرب يوجد لنا أصدقاء، ولكننا لم نحسن التعامل مع هؤلاء ولا أولئك.

ويمكن - أيضًا - الاتصالُ بالكنائس لإعداد حلقات نقاشية عن موضوعات محل اهتمام مشترك، كالحديث عن العدل والمساواة والمحبة والسلام وحرية الفكر والاعتقاد والقيم الأخلاقية فى المسيحية والإسلام. ومما يساعد على ذلك أن هناك من أهل الكنائس أناسًا أوتوا حظًّا من السماحة والبصر، عاملوا المسلمين بكرم ونبل، فبادلهم المسلمون التحية بخير منها، وحافظوا أتم المحافظة على مشاعرهم ومناسكهم، وكم نرجو لو يكثر هؤلاء المنصفون، وكم نرجو لو ملكوا زمام قومهم، فعاشوا وعشنا معهم فى وئام وطمأنينة.

سابعًا: التواصل مع الشعب الأمريكى بإهداء الكتب الجيدة عن الإسلام للمكتبات العامة، ومكتبات الكنائس والمدارس والمستشفيات والسجون، وللأساتذة الذين يقومون بتدريس الإسلام حتى لو كانوا من غير المسلمين، ودعوةُ طلاب المدارس والجامعات والجمعيات النسائية الأمريكية، وبعض الكتاب والنقاد والصحفيين الذين يكتبون فى الصحف اليومية ولهم أعمدة فى الصحف والمجلات لزيارة المراكز الإسلامية فى أمريكا، وتقديمُ واجب الضيافة لهم بصورة مبسطة، والإجابةُ عن جميع أسئلتهم بهدوء تام، واستضافةُ الأساتذة والأقسام العلمية الأكاديمية التى لها صلة بموضوع الندوة، والاجتهادُ فى جذب المزيد من الشعب إلى المراكز والمؤسسات الإسلامية.

ثامنًا: ترجمة أهم ما يكتبه المتخصصون فى العلوم الإسلامية إلى لغات أجنبية لتصحيح صورة الإسلام النمطية التى نجح الغرب بتوجهاته الصليبية والصهيونية فى تشويهها لدى المواطن الغربى قديمًا وحديثًا. مع ترجمة أهم ما يكتبه غير المسلمين للتعرف على فكر الآخرين وثقافتهم، ونشر إنتاج المسلمين الجدد وتجربتِهم السابقة على اعتناقهم الإسلام وتقريبها إلى الأفهام، والسماح لهم بالتحدث عن تجربتهم أمام المنتديات العلمية ليكونوا نموذجًا لغيرهم.

تاسعًا: التواصل مع الأقليات الإسلامية المنتشرة فى البلاد التى لا تدين بدين الإسلام ومساعدتُهم على النحو الذى يمكّنهم من القيام بواجبهم فى تقديم الإسلام فى صورته الحقيقية الناصعة من خلال معاملاتهم المباشرة مع الآخرين على كافة الأصعدة.

عاشرًا: محاولة شغل أوقات الفراغ للجاليات الإسلامية، والقضاءُ على الخواء الروحى، ومقاومةُ الإلحاد، والعودةُ إلى الاعتصام بحبل الله المتين بعيدًا عن عدم الاكتراث لدى أولئك الذين يفرطون فى دينهم وأخلاقهم وقيمهم بدعوى مسايرة العصر.